
الرسالة

2 Me Année, No. 27

Lundi-8-1-1934

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الاقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

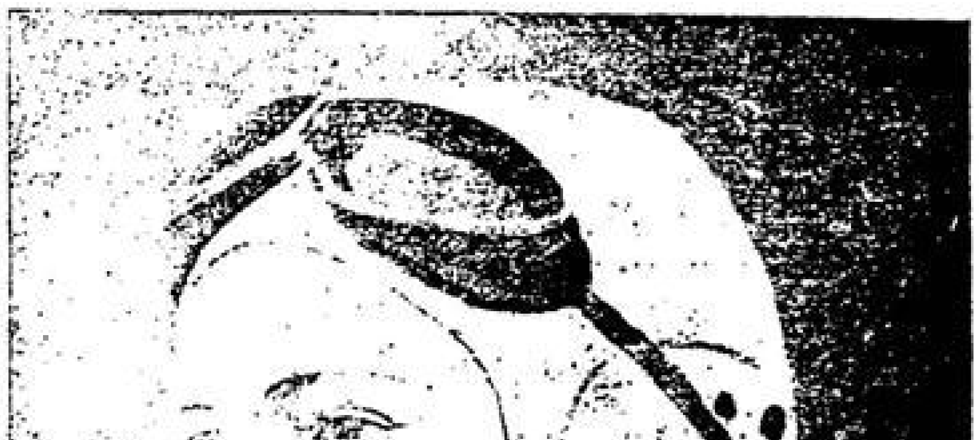
صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢

العدد السابع والعشرون — القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ رمضان سنة ١٣٥٢ — ٨ يناير سنة ١٩٣٤ — السنة الثانية

فهرس العـــدد

لطفيـــة النـــادى . . . !



منذ اسابيع استشهد فى ميدان الطيران حجاج ودوس ! فتقاطرت فى هذا المكان عبرات الاسى سوداء من هذا القلم، وتصاعدت زفرات الاسف حارة من هذه الصحيفة، وقلنا ان الأمة التى لم تكد تأخذ باسباب الطيران حتى يسبق الى الشهادة فى سبيله فتيان من فتيانها، ويبادر الى خوض اهواله فتاة من فتياتها، لايستطيع أن يكسر من ذرعها

حادث ، ولا يتكاءدها فى طريقها اليه عقبة .

كنا نقول ذلك والقدر الذى فتح لهذين الفتيين فى السماء باب الخلود ، كان يشق لهذه الفتاة فى الأرض طريق المجد ! فما كاد يعثر بنا الحظ فى الجو المُضِبّ الغريب ، حتى نهض عجلان فى جونا الضَّحْيان العجيب ، وكان يوم نهوضه الأغر يحلق فى سماء مصر الجديدة ثمانية وعشرون من نسور اوربا القشاعم يستعدون للسباق فى سمائنا المشرقة الطليقة ، ويستَنُّون للرهان استنان الجياد العتيقة ، ويظنون ان مصر التى فكرت فى الطيران آخر الامم لا يمكن ان تكون الا مطارا لكل طائر ، ومائدة لكل زائر ! أما أن تكون قرنا يغالب ، وموتورا يطالب ، فذلك ما لم يقع فى وهم ولم يَدُر فى خَلَد ! ولكن مجدنا الذى تحـــدى القرون وغبَّر فى وجه الفلك لا يزال جياش الغضب على غدرة الجو بشهيديه فى فرنسا ! فهو يُدمّث لنسوره مثوى الضيافة ، ويعقـــد غيب ضميره على الثأر ، ولا يثأر الا بطريقة تليق بماضيه وتزكو باصله !! نفث فى روع حمامة من حمائم الوادى ان تسابق هذه النسور فى حلبة الهواء الى الأمد ، فصفَّت الحمامة المصرية فى الجو جناحها الهشّ وريشها الناعم ، ثم نظرت نظرة التحدى الى النسور المحومة ، فتوقدت صدور الكواسر غضبا من هذه الجرأة ، وشق على ملوك الهواء وجبابرة السماء ان يشعروا بهذه الحمامة وقالوا متعضين : ريشة تواثب الريح ، وهامة تعاجز الثور ، ونملة تناجز القـــدر ! وقال « ضيوفنا » الاعزة اصحاب (النشرة البذيئة (١)) ، والفخر المتعصب يثنى اعناقهم ، والزهو الساخر يلوى أشداقهم : « يا لغرور » « ابناء العرب » ! متى دخلت « الحمير » مضامير السباق ؟ ومتى سامت وحوش « البهائم » سوابح الطير ! ألم تكفهم فضيحة « الجنديين القذرين » حجاج ودوس ؟

وكانت عيون مصر حينئذ تشخص الى السماء مغرورقة بالأمل ، ومحركات الطوائر الدولية تهزم فى الجو الصافى هزيم الرعود ، والاجنحة المعدنية تضرب فى الهواء الساكن الى الاسكندرية ، ولطفية النادى تتقدم بطائرتها الصغيرة السرب المتعاقب المثار الى قصبات السبق ! ! ثم غابت الاصوات فى مطاوى الفضاء ، واستولى على المطار اللجب سكون وصمت ، حتى اذا ازف موعد الرجوع سَرّحت العيون فى الجو ، وسبحت النفوس فى الخيال ، وتجاذبت أمم أوربا حبل الأمل فى الظفر ! هل هى فرنسا ؟ هل هى انجلترا ؟ هل هى المانيا ؟ ولم يقل احد لا منا ولا منهم هل هى مصر ؟ ولكن القدر على الغيب منا ومنهم قالها ! وكان الجواب الحاسم عند لطفية النادى !

من كان يخطر بالهمنا ـ ولا أقول منهم ـ ان الآنسة لطفيه بنت الخدر العربى ، وذات الخفر المصرى ، تبارى اساطين الطيران ذوى الماضى البعيد والمران الطويل والخبرة الواسعة وهى لم تقض فى علاج هذا الفن غير ستة شهور ، فكيف يقع فى الظن أن تسبق سابقهم وتهبط الارض قبله بدقيقة كاملة ؟

هنالك طفر المصريون من الفرح ، وماد الاجانب من الذهول ، واقبل المحكمون على الطائرة المُجَلِّية ، يعصرون يدها من الاعجاب والدهش ، ويقولون والعرق البارد يتألق فوق الجباه الزُّهر ، كما يتألق رشح الرطوبة فوق الرخام الابيض ، يا آنسة قبلنا سبقك موضوعا ورفضناه شكلا !! لان هناك على ساحل البحر (خيمة) أخرى لم تدورى حولها ، والخطأ خطأ المنظمين لانهم لم يضعوها فى مكانها !

ثم منحوا المصلى الفرنسى جائزة المال ، ومنحوا السابقة المصرية جائزة الشرف ! وهل تبتغى مصر غير هذا ؟

ليقل لنا أصحاب (النشرة البذيئة) ما رأيهم فى هذا الشعب ؟ ألا يرون أنهم جحدوا فضله كما غمطوا حقه ؟ ألا يجدر بربائب المدنية والعلم أن يفهموا أن عجز القيادة وتردد السياسة وطغيان الدخيل ، انما تخمد الشعور الى حين ، وتضعف الاخلاق الى حد ؟ وان الأمم الحرة بطبيعتها ، لا تلبث أن تنفى الزغل عن حقيقتها ، فتظهر مجلوة الصفحة نقية الاديم ؟ أفلا ينظرون الى المصرى فى الميادين الحرة كيف سبقت قدمه وعلت يده ؟ ألسنا فى الرياضة والسباحة والغناء والادب والطب أبطالا عالميين أو شبه عالميين ؟

أن أسوأ الآراء الاروبية فى مصر ما كان عن المرأة ، فانتصار البطلة لطفية فى هذا الميدان الخطير يصحح الخطأ فى العقول المنصفة ، ويُقر الحق فى النفوس الكريمة .

افتحوا لنا يا قوم طريق الحياة ، وافسحوا لنشئنا مجال العمل ، وخلوا بين نفوسنا وبين الحرية ، ثم انظروا بعد ذلك ماذا يفعل الفتى ، كما رأيتم بعيونكم ماذا فعلت الفتاة !

احمد حسن الزيات

(١) هى نشرة نشرها سفهاء الاجانب على الدواوين والصحف قذفوا المصريين فيها بالكلمات التى بين الاقواس !

من دار الى دار

للدكتور طه حسين

قال استاذ البيان لتلميذه: زعموا ان البيان يعين صاحبه على ان يؤدى المعنى الواحد بعبارات مختلفة فيها الحقيقة والمجاز ، وفيها التشبيه والاستعارة ، وفيها الكناية والتمثيل . وفيها ما نعلم وما لا نعلم من الوان الجمال اللفظى ، هذه التى تأتى عن قصد ، وتاتى على غير عمد ، كانما يوحى بها الى الكاتب المبين . ولكنك تعلم انا لا نذهب فى فهم البيان هذا المذهب ، ولا نقصد به الى هذا النحو ، وانما نذهب به مذهبا اعم من هذا واشمل ، كان يذهب اليه القدماء حين كانوا يتخذون البيان وسيلة الى اداء ما يعرض للكاتب من الاغراض والمعانى فى أشد الالفاظ ملاءمة لاغراضه ومعانيه . ولعلك تذكر انهم كانوا يذهبون فى تعليم الطلاب فن البيان مذهبا طريفا كثيرا ما كان يضيق به المتكلفون من أصحاب الاخلاق ، والذين لا يعلمون الا ظاهرا من الفلسفة . قال التليذ : نعم هو هذا المذهب الذى كان يحمل الاستاذ على أن يطرق امام تلاميذه ويحمل تلاميذه على أن يطرقوا أشد الموضوعات تناقضا واعظمها اختلافا فيؤدوها كأنهم يؤمنون بها أقوى الايمان ، ويقتنعون بها أشد الاقتناع . وكانت هذه بدعة استحدثها السوفسطائية ثم ورثها عنهم أصحاب البيان فلم يغيروها ، وانما أمعنوا فيها امعانا . وكتاب ارسطاليس فى الخطابة حافل بذلك . وقد أبلى الجاحظ فى هذا النحو من تعليم البيان بلاء حسنا ، وقد الف اساتذة اللغة والبيان فى هذا النحو من الادب كتبا لا تخلو من لذة ومتاع ، فيها مدح الشىء الواحد وذمه ، وفيها مدح النقيضين وذم النقيضين ، وفيها . . . . . . قال الاستاذ حسبك ، فقد أرى أن أشهر الصيف وما كان فيها من ارتحال وتطواف ، ومن اختلاف البيئات عليك وترامى اطراف الارض بك لم تنسك ما أنفقت فيه أشهر الربيع من الدرس والبحث ، فانا نريد الآن أن نبتدىء من حيث انتهينا ، ونمضى من حيث وقفنا ، ونعود الى ما كنا فيه من التمرين . فاختر لنا موضوعا واحدا يثير الضحك ويثير الرثاء . يثير الشماتة ويثير الرحمة . يبعث فى النفوس مرحا وابتهاجا ويملأ القلوب كآبة وحزنا ، وهو على ذلك كله واحد لا يتغير ، وانما يتغير وجه النظر اليه ونحو التفكير فيه . فانت تعلم أن الاشياء مهما تتحد فهى متباينة ، ومهما تأتلف فهى مختلفة ، وأن الشىء الواحد قد يخالف نفسه ويباينها باختلاف الجهات التى تنظر اليه منها ، والطرق التى تسلكها الى فهمه والوصول اليه . قال التلميذ فانى لست فى حاجة الى أن أجد وأكد ، أو ألتمس واختار ، لأن الموضوع ماثل امامى شهدته أمس فأثار فى نفسى هذه العواطف المختلفة ، وبعث فى قلبى هذه الألوان المتباينة من الشعور ، وكان المتعمقون فى البيان يسرفون على انفسهم وعلى تلاميذهم وعلى الفن حين كانوا يجتنبون ما يحدث بين ايديهم من الحوادث ، ويختلف عليهم وعلى امثالهم من الخطوب ، ويلتمسون الموضوعات من عند أنفسهم يخلقونها خلقاً ، فيصيبون حيناً ويخطئون أحياناً ، ويعيشون فى عالم الخيال على كل حال ، مع أنهم لو نظروا فيما حولهم من الاحياء والأشياء لما احتاجوا الى هذا الكد والجد ، ولما بعدوا بانفسهم وتلاميذهم عن مواضع الحق والصدق والصواب ، ولما نقلوا الأدب من هــذا العالم المعروف الذى يضطرب فيه الناس الى عالم آخر لا يضطرب فيه الا الوهم ، ولما قطعوا الصلة بين الأدب الذى يجب أن يكون صورة الحياة وبين الناس الذين يجب أن يتخذوه مرآة يرون فيها أنفسهم وحياتهم كما هى أو كما يحبون أن تكون ، أو كما يكرهون أن تكون قال الأستاذ : هات موضوعك ولا تمعن فى الأستطراد ، فقد علمت وقد أنبأتك بأنى علمت أن أشهر الصيف لم تنسك دروس الربيع . قال التلميذ : فان الموضوع الذى شهدته أمس موضوع خصب يثير ما شئت من المعانى ، ويلهم ما أحببت من الخواطر ويثير من المعانى ما لم تشأ ، ويلهم من الخواطر ما لا تحب ، يبعث الابتسام إن شئت أن تبتسم ، ويبعث العبوس إن أحببت أن تعبس ، وقد يكرهك على الابتسام وأنت عابس ، وقد يكرهك على العبوس وأنت مبتسم ، وقد لا يقف بك عند الابتسام ، بل يغرقك فى الضحك اغراقا ، وقد لا يقف بك عند العبوس بل يدفعك الى البكاء دفعاً ، وقــد يقفك من الابتسام والعبوس ومن الضحك والبكاء موقفا بين ذلك ، فيه هدوء وعجب ، وفيه رضى وسخط يضطربان فى النفس ولا تظهر آثارهما على الوجه . قال الأستاذ كفكف من هذا السيل اللفظى المتدفق ، واقصد بنا الى ما نريد ، فقد علمت أن أشهر الصيف لم تنسك دروس الربيع فى المعانى ، وقد علمت أيضاً انها لم تنسك دروس الربيع فى الالفاظ ، وقد علمت أنك ما زلت قادراً على أن تجيد هذا الفن الذى يمكن الكاتب أو المتكلم من أن يقول فيطيل دون أن يؤدى معنىً أو يدل على شىء . قال التلميذ : وكأنك تنكر هــذا الفن أو تسخر منه أو تزعم أن جمال الكلام لا يأتى من الكلام نفسه ، وأن الالفاظ ليست على حظ من الجمال الذاتى الذى يأتى من اتساقها والتآمها وانسجامها ، قال : الأستاذ دعنا من كل هذا العبث واقصد بنا الى ما نريد فقد نعود فى يوم

آ خر إلى حديث الالفاظ والمعانى وما يجب أن يكون بينهما من صلة ،وما يجب أن يقسم بينهما من الجمال .

ولكن اذكر إن كنت نسيت أنك شهدت أمس موضوعاً واحداً يثير الضحك ويثير الرثاء.فحدثنى عن هذا الموضوع ، كيف أثار الضحك ؟ وكيف أثار الرثاء ؟ قال التلميذ : وكيف أنسى موضوعاً لا يمكن أن يعدو عليه النسيان ؟ وما رأيك فى أديب خلق ليكتب ، ويقول فيقضى عليه فجأة ألا يكتب ولا يقول ؟ خلق ليفكر ويرقى بتفكيره الى السماء فيجذب الى الأرض جذباً ، ويكره على البقاء فيها إكراها ، ويؤخذ بالحياة مع أهلها أخذاً ، خلق ليقرأ فيقضى عليه فجأة ألا يقرأ ، خلق أطول الناس بالكلام لساناً ، وأجراهم بالقلم يداً ، وأسرعهم الى المعانى نفسا ، وأخصبهم بالخواطر ذهنا ؛ فيعقد لسانه وتغل يده وتقيد نفسه ويجدب ذهنه . خلق واضح الجبين باسم الثغر مبسوط الأسارير ، تضطرب فى نفسه الغنية معان غزيرة فيظهر اضطراب هذه المعانى على وجهه ، فاذا هو متحرك الهيئة دائماً لا تكاد تنظر الى محياه حتى ترى له شكلا جديداً يصور معنى جديداً ، يضطرب فى تلك النفس التى لا تهدأ ولا تستقر فيقضى على هيئته أن تسكن ،وعلى وجهه أن يتخذ صورة بعينها جامدة مستقرة لازمة لا تتحرك ولا تنتقل ولا تزول .

قال الأستاذ وماذا تنكر من أمر هذا الاديب؟ انما هو صورة من صور برومثيوس الذى كان حركة متصلة منتجة خصبة ،سريعة لبقة ، تعلم الناس فى غير انقطاع . وتسلك الى تعليمهم كل سبيل ، وتبتغى اليه كل وسيلة ، حتى لم تتحرج من أن تختلس نار الآلهة اختلاساً فتهديها الى الناس وتمنحهم بذلك الحضارة والعلم والفن وتغنيهم أو تكاد تغنيهم عن (زوس) وأصحابه من سكان الأولمب ، فغضب عليه زوس وضاق به وأزمع أن يعاقبه على ما جنى ، فشده الى صخرته تلك فى القوقاز وقضى عليه أن يظل طوال الدهر مغلولا . وقد كانت الحركة جوهره عاجزاً ، وقد كانت القدرة حقيقته لا يملك لنفسه ولا للناس شيئاً ، لا يدفع عن نفسه ولا عن الناس شيئاً ، يزوره النسر الذى وكل به من حين الى حين ، فينهش كبده نهشا ، وهو يرى ذلك ويألم له أشد الألم ولا يستطيع له دفعاً ،يدعو الحرية فلا تستجيب له ، لأن زوس قد كفها عنه ،يدعو الموت فلا يستجيب له ، لان الاقدار قد كتبت له الخلود . وقد صور ايسكولوس حال برمثيوس هذا تصويراً بديعاً ألهم من جاء بعده من الكتاب والشعراء والمثالين والمصورين والموسيقيين .

وقد أثار ايسكولوس فى تصويره ضحك الذين قست قلوبهم ، ورثاء الذين رقت نفوسهم كما أثار معانى أخرى أقوم وأخصب وأبقى من الضحك والرثاء . قال التلميذ :لم أقصد الى برومثيوس ولم أفكر فيه ، وهل تظن أنى رأيته أمس ولم أذهب الى القوقاز وانما انا معك فى القاهرة ، ولعلى ان ذهبت الى القوقاز فلا ارى الصخرة ولا قرينها فلم يحدثنا عنهما احد من الذين زاروا تلك البلاد بعد ايسكولوس . قال الاستاذ فهى صورة من صور برومثيوس قصدت اليها واتخذتها نموذجا لهذا النحو من البيان كما كان يفعل القدماء . قال التلميذ لم افكر فى برومثيوس ولم اقصد الى تقليد ايسكولوس ،وانما هو شىء شهدته امس .قال الاستاذ وماذا شهدت ؟ قال التلميذ شهدت صديقنا فلانا وقد ارادت له ظروف الحياة ان ينتقل من دار الى دار .قال الاستاذ وقد اغرق فى الضحك ما ابعد هذه الصورة التى تحدثنى عنها من تلك الصورة التى كنت اذكرك بها او اين يكون صديقنا فلان حين تنقله الظروف من دار الى دار ،من برومثيوس حين يشده كبير الآلهة الى صخرة القوقاز' قال التلميذ فقد اثار صديقنا فلان فى نفسك الضحك لأن صورته ذكرتك بتلك الصورة الضخمة العظيمة التى نصبها ابو التراجيديا للناس فلما انحدرت منها الى هذا الشخص الضئيل النحيل الذى كان يقيم فى طرف من اطراف القاهرة فانتقل الى طرف آخر لم تملك نفسك ان أغرقت فى الضحك اغراقا . ومع ذلك فلو قد رأيته امس كاسف البال كئيب الوجه محزون القلب معقود اللسان مقيد الرجل مغلول اليد ،محصورا بين طائفة من الأثاث وادوات البيت ،مختلفة اشد الاختلاف ، متباينة اشد التباين ،فيها الكبير والصغير ،فيها الانيق والدميم ، قد جمعت حوله تجميعا ، وكدست حوله تكديسا ، وقد وضع هو بينها وضعا على كرسى او شىء يشبه الكرسى ، وقيل له اقم لا ترم حتى يأذن الله أو يأذن العمال لك بالانتقال ،وهو مقيم لا يريم ، لا يستطيع ان يقول شيئا ،ولا ينبغى ان يقول شيئا، لأنه لا يفهم مما حوله شيئا، يريد أن يخلو الى نفسه ويعيش مع خواطره ، فاذا الاسباب قد قطعت بينه وبين نفسه ،واذا الحواجز قد أقيمت بينه وبين خواطره، واذا هو مصروف عن ضميره صرفا بهذه الاصوات العنيفة المختلفة التى تأخذه من كل مكان، والتى تؤلف من حوله نوعا جافا غليظا من الموسيقى ،فيه أصوات العمال على اختلافها ،واصطدام الاثاث ، ووقعه على الارض ، وهذا الصوت الذى يغيظ ويهيج الاعصاب ويأتى من جر الاشياء على الخشب حينا وعلى الحجر حينا آخر ،وخفق الاقدام وتداعى الخدم ،وتناهى الحمالين وما شئت مما يحصر وما لا

ملق القـــادة

للأستاذ أحمد أمين

لست أعنى بهذا العنوان أن يتملق الجمهور لقادتهم فيظهرون لهم الود والاعظام بحق وبغير حق ، فذلك شيء قليل الخطر ، فاتر الأثر ، وانما أعنى أن يتملق القادة للرأى العام فيسيرون على هواه ويجرون بمجراه ، ويأتون ما يحب ، ويذرون ما يكره ، فهذا هو الداء الدوى والعلة الفادحة

ومن أسوأ ما أرى فى الشرق فى هذه الأيام هـــذه الظاهرة : ظاهرة أن يحسب القادة حساب الرأى العام أكثر مما يحسب الرأى العام حساب القادة

هذه الظاهرة جلية واضحة فى قادة العلم ، فهناك أوساط تقدس العرب كل التقديس ، وتعتقد أنهم فى حكمهم عدلوا كل العدل ، ولم يظلموا أى ظلم ، فقادتهم يتملقونهم ويستخدمون معارفهم للوصول الى هذه النتائج التى ترضيهم ، سواء رضى العلم أم لم يرض ، وسواء أوصل البحث الى هذه النتائج أو الى عكسها ، وهناك أوساط تعبد كل غربى من عادات وتقاليد وآداب ، فقادتهم يختارون اللفظ الرشيق ، والاسلوب الأنيق لتأييد هذه الآراء ، ولا عليهم فى ذلك ان كانوا يحقون الحق أم يؤيدون الباطل

وهى ظاهرة فى قادة الادب ، فأن أحب الجمهور روايات الحب والغرام ألفوا فيها وأكثروا منها ، وان ادركوا أن تصفيق الجمهور يكون اشد ، كلما كان الحب احد ، تسابق الادباء الى اقصى ما يستطيعون من حدة وعنف ، ومهروا فى أن يستنزفوا دموع المحبين ، ويهيجوا عواطفهم ، ويصلوا الى أعماق قلوبهم ، وان كره الناس ادب القوة فويل لأدب القوة من الادباء ، هو سمج ، وهو جاف ، وهو لا قلب له ، وان كان الجمهور لا يقبل الا على الادب الرخيص فكل المجلات أدب رخيص ، لانه كلما أسرف فى الرخص غلا فى الثمن ، وان بدأ الجمهور يتذوق الجد تحولوا الى الجد وداروا معه حيث دار

وهى ظاهرة فى دعاة الاصلاح ، فهم يرون ـ مثلا ـ أن الشباب قوة فوق كل قوة ، وهم عصب الامة واكسير الحياة ، وفى استطاعتهم أن يرفعوا من شاءوا الى القمة ويسقطوا من شاءوا الى الحضيض ، فهم ينظمون لهم الدر فى مديحهم واعلاء شأنهم ، ويملئهم ثقة بأنفسهم ، فهم رجال المستقبل وعماد الحياة ، وهم خير من آبائهم ، وستكون الامة فى منتهى الرقى يوم يكونون رجالها ـ وقد يكون هذا حقا ، ولكن للشباب أغلاطه الجسيمة التى تتناسب وهمته ، وله غروره واندفاعه ، وله تهوره وافراطه فى الاعتداد بنفسه ـ فكان على المصلحين ان يكثروا القول فى المعنيين على السواء ، فيشجعوا وينقدوا ، ويبشروا وينـــذروا ، ويرغبوا ويرهبوا حتى تتعادل قوى النفس ، وحتى يشعروا بمحاسنهم ومساويهم معا ـ ولكن هؤلاء القادة ـ مع الأسف ـ وقعوا فقط على النغمة التى تعجب الشباب وتحمسهم ولم يجرءوا ان يجهروا بعيوبهم ، ولا ان يقولوا ولو تلميحا ـ فى مواضع النقص من نفوسهم ـ فكان لنا من ذلك شباب استرسلوا فى الايمان بقول الدعاة الى أقصى حد ، واعتقدوا انهم كل شيء فى الحياة وانهم فوق أن يسمعوا نصيحة ناصح او نقد ناقد ـ وكان هذا نتيجة لازمة بعد ان وقف القادة منهم هذا الموقف ـ وقد يكون هذا رد فعل للماضى أيضا ـ فقد كان طالب العلم فى الجيل السابق يقدس قول استاذه ، وهو واستاذه يقدسان ما فى الكتاب الذى يتلى ، وكان الشاب يجل الشيخ فى قوله وفعله ، لا يرى ان له صوتا بجانب صوته ، ولا رأيا بجانب رأيه ، فكان سلوك هذا الجيل انتقاما من الجيل السابق ، وذهابا فى الافراط يعادل افراط آبائه ، ولكن أظن أنا وصلنا الى حد يجعلنا نفكر جديا فى تثبيت هذه الذبذبة ووقفها الموقف الحق

ان وقوف القيادة من الجمهور موقف الملق قلب للوضع ، فالعالم اذا قال برأى الناس لم يكن لعلمه قيمة ، والمصلح اذا دعا الى ما عليه الناس لم يكن مصلحا

انى أفهم هذا الوضع فى التاجر يسترضى الجمهور لأن نجاحه فى تجارته يتوقف على رضاهم ، وأفهم هذا فى المغنى يقول ما يعجب الناس لأنه نصب نفسه لارضائهم ، واستخراج اعجابهم ، ولكنى لا أفهم هـــذا فى قائد الجيش ، فان له مهمة أخرى ، وهى أن يظفر بخصمه ، فلو كان همه أن يسترضى جنده لا أن ينتصر على عدوه لما استحق لقب القيادة لحظة ، ولكان

الوضع الحقيقى أن الجند هم القادة والقادة هم الجند

كذلك الشأن فى قائد العلم وقائد الادب، والمصلح الاجتماعى فلكل منهم غرض يرمى اليه فى علمه أو أدبه أو اصلاحه ، وله خطة يريد أن يحمل الناس عليها رضوا أم كرهوا

بل لا يعد المصلح مصلحا حتى ينبه الناس من غفلتهم، ويحملهم على أن يتركوا ما ألفوا من ضار ، أو يعتنقوا ما كرهوا من صالح وهو فى أغلب أمره مغضوب عليه ممقوت ، واصطلاح الجمهور والمصلحين ليس علامة تبشر بخير ، بل هى فى الغالب تدل على تراجع من المصلح وانتصار للعامة

وقد كان المصلحون فى الشرق الى عهد قريب أشد الناس تعبا فى الحياة ، وأكثر تبرما بالجمهور وأقربهم الى عهدنا جمال الدين ومحمد عبده وقاسم امين ، لقوا فى دعوتهم من العذاب الوانا، ولم يوفوا حقهم الا بعد أن وافاهم الموت ، أما اليوم فلست أرى حركة عنيفة بين القادة والرأى العام ، ولا بين المصلح ومن يراد اصلاحه . وربما كان سبب ذلك أن القائد ينظر الى نفسه أولا وقبل كل شىء وآخر كل شىء ، قصد الى أن يصفق له أكثر مما قصد لخدمة الحق ، وقد وصل الى درجة من اعجاب الجمهور يريد أن يزيدها أو يحتفظ بها ، قد خلع ثياب القائد، وارتدى لباس التاجر ، يبحث عما يعجبهم ليقول فيه شعره أو يكتب فيه مقالته ، أو يطنب فى وصفه ، ويبحث عما يسوءهم ليحمل عليه حملة شعواء بقلمه أو لسانه كما يبحث تاجر الأزياء عن آخر طراز فى الزى يقبل الناس على شرائه

تلك أشد حالات الانحطاط فى القيادة ، فأول درس يتلقاه القائد أن يكون قليل الاهتمام بشخصه ، كثير الاهتمام بالغرض الذى يرمى اليه فى الاصلاح ، سواء أكان اصلاحا لغويا أو أدبيا ، أو اجتماعيا أو دينيا ، وأن ينظر الى كل ما يجرى حوله فى هدوء . لا يسره الا أن يرى الناس اقتربوا من غرضه ولو بسبه ، ويضحى بالشهرة فتتبعه الشهرة ، ويضحى بالحظ فيخدمه الحظ ، بل سواء عليه عُرف أم لم يعرف ، وسواء عليه لعن أم كرّم ، مادام سائرا على المنهج الذى رسم ، لا يشعر بأريحية الا ان يصل الى غرضه ، أو يقرب منه ، يحب المنتصرين لرأيه ويرحم الناقمين عليه ، يرفض أن يلبس تاج الفخر الا أن يكون من نسيج ما سعى الى تحقيقه — ان كان هذا أول درس يتعلمه القائد فهو آخر درس أيضا .

أخشى ان يكون قادة الرأى فينا قد ملوا المقاومة فاستسلموا ، وان يكونوا قد استصعبوا الغاية فاستناموا ، وان يكونوا قد وقفوا مترددين قليلا بين عذاب الضمير وعذاب المعارضة فاحتملوا الاول ، وان يكونوا لطول مالقوا قد رغبوا عن النظر الى الامام والتفتوا وراءهم الى الرأى العام فساروا أمامه فى الطريق الذى يحبه هو لا الذى يحبونه هم ، ان كان هذا فيالها من هزيمة .

انى لنا بقادة فى الرأى لا يتملقون الا الحق ؟

الحرية

للاستاذ الشيخ ابراهيم الدباغ

غلت فغلى فى كل حى وجيبها ... ولست لها ! إن كان غيرى مجيبها
صريع هواها لا يواسى بنظرة ... وجرحى أساها لا يلين طبيبها
بدت واختفى فيها جمال تزينه ... فهبت أعاديها ونام حبيبها
وكم مزقت ستر العفاف لصونها ... بحر يناجيها وعبد يعيبها
حديقتها قد فتحت كل زهرة ... تضل النهى أنفاسها وضروبها
شكت غربة فى أهلها ولداتها ... وأمسى على بلواه يبكى قريبها
وكم أكلت نيرانها قلب جاحد ... وانى لأرجو أن يزيد لهيبها
وكم عملت فى نفس حر ومنصف ... وحسب الامانى أن يخف شبوبها
يشرفها فى كل شرق شروقها ... وتغرى بها فى كل غرب غروبها
مطالعها فى الشرق والغرب لم تعد ... إلى الأفق حتى ضاق ذرعا رقيبها
تعود منها المستبدون هدنة ... وسلما ، وردتهم لرشد حروبها
وكم من غراب ناعب فى رياضها ... صباحا وقد أحيا الدجى عندليبها
سقاها الحيا بالأمس واليوم عذبت ... فياليت شعرى فى غد مايصيبها!
وهل للعوالى رغبة فى مثوبة ... تبارك معطيها وجل مثيبها
وكائنْ لها من مهجة مثل صخرة ... تذيب الليالى والليالى تذيبها
مضت فى الكرى واستعجلت يقظة الوغى
وساحتها أم فأين ربيبها؟
ممنعة لا تبتغى عند أمة موزعة أهواؤها وقلوبها

وأخيراً النون

للعلامة الشيخ عبد القادر المغربى
عضو مجمع اللغة العربية الملكى

كان بينى وبين بعض الفضلاء نزاع طويل حول كلمة (انسكلوبيدى) Encyclopédie اليونانية الأصل واختيار كلمة عربية تقوم مقامها

والانسكلوبيدى لفظ وضعه الافرنج للدلالة على المعجم الذى يتضمن كل فن ومطلب من مطالب ثقافات الامم ،ومقومات حضارتها: ففيه كل شىء ماعدا اللغة ،فان كلماتها تكفل ببيانها معجم آخر يختلف اسمه باختلاف اللغات.

ولما وضع العلامة البستانى معجمه العربى الجامع لكل فن ومطلب وضع له اسما عربيا مفردا ، ثم بدا له فغيره الى اسم آخر مركب من كلمتين . وتتابعت بعده الاسماء والأوضاع على هذا النمط.

(١) الكوثر
(٢) دائرة المعارف } بطرس البستانى ،سورية ،سنة ١٨٧٦ م
(٣) لغات تاريخية وجغرافية ؛ أحمد رفعت افندى ، الاستانة ، سنة ١٨٨٢ م
(٤) مصور دائرة المعارف : على سيدى ومحمد عزت وعلى رشاد ، الاستانة ، سنة ١٩١٤ م
(٥) موسوعة : ابراهيم اليازجى (سورية)
(٦) كنز العلوم واللغة } فريدوجدى ،مصر، سنة ١٩٠٧
(٧) دائرة معارف القرن العشرين } فريدوجدى ،مصر، سنة ١٩٢٣
(٨) محيط المعارف ؛ امر الله افندى ، الأستانة ،
(٩) معلمة : الاب انستاس الكرملى ، بغداد ،
(١٠) النون

واشتد الجدل فى اختيار أفضل هذه الكلمات وأحقها بالقبول، ثم اتفقنا على اهمال ما كان مركباً منها كدائرة المعارف ، أما المفردات فالكوثر لا تدل على المراد من ، الانسكلوبيدى ، كما لا يخفى و ، موسوعة، يختلف فى أصلها وسلامة عروبتها ، فلم يبق الا كلمة ،مَعْلَمَة، التى تدل على معنى ، وعاء العلم ،.

ثم عادت المناقشة فاشتدت حول قبول « المعلمة » وعدم قبولها ، وحجة رافضيها انها انما تدل على كتاب فيه علم ولا تدل على معنى الشمول والاحاطة كما هو المقصود من (Encyclopédie)

فرد هذا الاعتراض بان ، المعلمة، تدل على معنى الكثرة لكونها مصوغة على وزن مَأسَدَة و ، مَسْبَعَة ، ومَذَأَبة ، و ، مَقْثَأة ، و ، مَلَصّة، أى أرض كثرت فيها الأسود والسباع والذباب والقِثّاء والصوص . وقال الأب أنستاس «المَعْلَمة» فيكون قد أراد انها كتاب كثر فيه العلم .

فبقى بعض الاخوان مصراً على رفض ، المعلمة ، مستدلا بان كلمة ، مسبعة ، واخواتها الدالة على الكثرة انما هى صيغ خاصة وقعت للعرب فى وصف الارضين والاماكن وحدها ، حتى ان ابن سيده عقد لهذه الكلمات فى مخصصه - جزء ٣ ،ص ٢٠٥ - بابا عنونه بقوله (باب مَفْعَلة من صفات الارضين) . فكيف يصح لنا أن نجعلها من صفات الكتب ؟ فلم يبق الا أن تكون صيغة - معلة - كصيغة - مقلة - بالقاف بمعنى وعاء الاقلام . وهذا يضعف من أمر اختيارها لتحل محل - انسكلوبيدى -

فقال بعض الاخوان : ان الياس بك القدسى (عضو مجمعنا العلمى العربى بدمشق) كان أشار بوضع كلمة (النون) فى مقابل الانسكلوبيدى مستدلا بما جاء فى معجم المستشرق المشهور (كازيمرسكى) مترجم القرآن الى الافرنسية - من ان (النون) فى اللغة العربية تكون بمعنى (الانسكلوبيدى) الأعجمية.

فعجبت من قوله ، لأن (النون) ان كان المراد بها حرف الهجاء فلا علاقة لها بمعنى (الانسكلوبيدى) وان كان المراد بها كلمة (النون) التى من معانيها السيف والحوت والدواة فانها أيضا لا علاقة لها ظاهرة بالانسكلوبيدى

ولم يتيسر لى يومئذ أن أراجع معجم (كازيمرسكى) العربى الافرنسى ، حتى وقعت لى نسخة منه منذ أيام ، فوجدته يقول ومن معانى (النون) خلاصة جميع العلوم Résumé de toutes les sciences ولم يذكر كازيمرسكى صراحة ان النون تطلق على الانسكلوبيدى ،فعلمت ان الياس بك (رحمه الله) انما استنتج كلمة الانسكلوبيدى من قول (كازيمرسكى) استنتاجا . فبقى عالقا فى حفظه أنه من قول (كازيمرسكى) نفسه . وحق له هذا الاستنتاج لأن كلمة (النون) اذا كانت بمعنى خلاصة علوم البشر كانت جديرة بان تطلق على الكتاب الذى يضم بين دفتيه خلاصة علوم البشر .

وقد ازددت حرصاً على معرفة المصدر الذى اعتمد عليه كازيمرسكى فيما ذهب اليه . فلم أظفر بشى. فى المعاجم اللغوية العربية ، لكنى رأيت « السيد الجرجانى » يقول فى كتابه التعريفات مانصه : (النون هو العلم الأجمالى . يريد به الدواة ، فان الحروف التى هى صور العلم موجودة فى مدادها إجمالا . وفى قوله تعالى (ن . والقلم) هو العلم الأجمالى فى الحضرة الاحدية . والقلم حضرة التفصيل اه)

فنى هذا القول رموز لغة وتفسير وعقيدة وتصوف ، ألف بينها لحام دقيق يمكن تفكيكه على هذه الصورة:

ان حرف «ن» فى الآية اريد به إجمال او خلاصة للعلم البشرى وان (القلم) الذى ذكر بعد « ن » هو الكفيل بتفصيل ذلك العلم الاجمالى . وان حرف « ن » إنما جاءه معنى العلم الاجمالى من كونه حرفاً من حروف الهجاء . وحروف الهجاء يتركب منها جميع الكلام الذى يدل على علوم البشر التى انما يصورها الكاتب بمداد الدواة . فعلوم البشر مدمجة فى الدواة ، والدواة رمز يذكر بمجموع علوم البشر وثقافتهم فى التمدن القديم ، كما ان (المطبعة) رمز يذكر بمجموع علوم البشر وثقافتهم فى التمدن الحديث

ثم تراجع كتب اللغة والتفسير فتجد بعض المفسرين يفسر « ن » فى آية « ن ، والقلم وما يسطرون » — بحرف النون الهجائى ، كما فسروا بقية الحروف الهجائية فى مفتتح السور الاخرى . وتجد الحسن البصرى يفسر (النون) بالدواة . فتنفطن الى ان الحسن رضى الله عنه لم يرد بالنون حرف النون الهجائى ، وانما اراد كلمة «النون» ، ولكن الحسن البصرى السلفى العظيم الذى عاش مع فصحاء العرب وبلغاء الصحابة رضوان الله عليهم — يفسر (النون) بالدواة من دون ان يكون له دليل يستند اليه

نبحث فتجد ان الحبر ابن عباس رضى الله عنه يفسر النون فى الآية بالحوت وهو سمكة البحر ، كما هو احد معانيها اللغوية . فتنفطن أيضا الى أن تفسير (النون) بالدواة — وهو ماذهب اليه الحسن البصرى — انما جاءه من جهة تفسير ابن عباس لها بالحوت

ويبقى فى المقام إشكال : وهو ماهى علاقة الحوت بالدواة ؟ نراجع المفسر النيسابورى فنجده يقول فى صدد تفسير الآية : انه يروى عن بعض الثقات أن أصحاب السحر (ويريد بهم أصحاب الصناعات الخفية أو الدقيقة) يستخرجون من بعض الحيتان شيئاً أسود كالنقس (أى الحبر) أو أشد سواداً منه يكتبون به اه

ولا يخفى ان الاخطبوط أو غيره من حيتان البحر يستخرج مه سائل كان الاقدمون يعالجونه ويليقونه بما يجعله صالحاً للكتابة به

وهكذا نرى ابن عباس يفسر النون فى الآية بالحوت ، ولكن أى حوت ؟ ذهب بعض المفسرين الذين يحبون الأغراب فى كلام الله تعالى الى ان المراد به (الحوت) أخو (الثور) اللذان كانا وما زالا ينوءآن بحمل الارضين السبع !!

غير ان الحسن البصرى رضى الله عنه ما كان يعجبه من قصاص المساجد أن يذهبوا فى تفسير الوحى الألهى هذا المذهب فى الأغراب والتهويل . إذ أن التسامح فى ذلك بقصد التأثير فى نفوس الدهماء من العامة إن سر عاجلا فانه يسوء آجلا .

وهذا ماحمل الحسن البصرى على تفسير (النون) بالدواة تأييداً لابن عباس رضى الله عنه فى تفسيره للنون بالحوت .

أما إطلاق (الحوت) وإرادة الحبر منه فله شواهد كثيرة من اللغة العربية التى يتسع صدرها لأمثال هذا الأطلاق . بل ربما كان له شواهد ايضا فى اللغات الاخرى ، وها نحن اليوم نقول فيتيل (المدينة الافرنسية) ونريد ماءها المعدنى الذى ينبع فيها — وكولونيا (المدينة الالمانية) ونريد ماءها المعطر الذى يصنع ويجلب منها — وجنيه « بلاد غينيا » ونريد الدينار المصرى الذى استخرج ذهبه من معادنها — ويقول العرب « نون » أى حوت ، ويريدون الحبر الاسود الذى يستخرج من سائله — وأنزل القرآن بلغة العرب وعلى مناحيهم فى أساليب البلاغة ، فافتتحت السورة بالقسم على براءة النبى صلى الله عليه وسلم مما قاله المشركون فيه وتنبيه المخاطبين الى عظيم فضل الله على البشر مذ هداهم الى التسطير والكتابة ، والى استخدام أدواتها من حبر وقلم . فكان ذلك سبباً لما بلغوا اليه من علم وحضارة وثقافة.

ولم أرد أن أحقق هنا معنى الآية الكريمة ، ولا ما هو الأصح المعتمد فى تفسيرها ، فان ذلك مبين فى تفسيرى على « جزء تبارك » المهيأ للطبع — وانما أردت أن أبين المصدر الذى استقى منه « كازيمرسكى » القول بان النون تدل على خلاصة علوم البشر حتى رأى الياس بك القدسى أنها تصلح لان تقوم مقام الانسكلوبيدى

ولا سيما أن فى الأمكان تناول مشتقات مختلفة منها : فيقال مثلا (نوّن تنويناً) (منوّن) (منوّنون) ونوّنت فيقال (النونة) الافرنسية (و النونة الالمانية) و النونة العربية وينسب اليها فيقال فلان صاحب نون و نونى Encyclopédiste

دمشق

المغربي

الفـــن والروح

للاستاذ الحوماني

أستاذ الادب العربي بكلية طرابلس

الفن فى الاثر بدعة ، وفى المؤثر بدعة وابداع .

فهو فى قول احدى جوارى العباسيين وهى تقلب تفاحة اهداها اليها سيدها

يارب تفاحة خلوت بها   تشعل نار الهوى على كبدى
لو أن تفاحة بكت لبكت   من رحمتى هذه التى بيدى

هو بدعة أنشأها الفكر بين عاطفة الحب ودقة التصوير ، واما الفن فى الشاعرة نفسها فهو بدعة الجمال وابداع الخيال

ففن الطبيعة فى الانسان جمال تام ، وفى غيره جمال ناقص

والفن فى الزهرة مثلا شكل ولون وعطر : اذا صح ان العطر فى الزهرة مقابل الروح فى الفنان ، وهذه كل ما فى الزهرة من جمال ، ولكن الفن فيك - الى هذه الثلاثة - فكرة تخلق الزهرة فى نفسك جميلة الشكل واللون والعطر

الفن فى المرئيات نتيجة الفكر والجوارح ، واما هو فيما وراء ذلك فقد يكون وليد الفكر فقط كالفن فى الشعر ، وقد يكون نتاج الفكر والجوارح ايضا كالموسيقى والخطابة ونحوها

تستطيع ان تتصور حبيبك تصورا تاما ، واما أن تصفه للسامع وصفا دقيقا ، او ان تتناول الريشة وترسم ما تتصور فذلك ماليس فى طوقك مالم تكن فنانا فى الشعر والرسم . من ذلك يتضح لديك الفرق بين العلم والفن ، فنواة العلم ان تتصور ، واما نواة الفن فأن تتصور ثم تصور . فتصورك المسألة علم ، ثم تصويرك اياها فن . من ذلك تدرك فضل الفن على العلم وأنه احفل منه بالخلود

فالأثر الذى ينشأ عن الفكر وهو يكشف عن الحقيقة ستار الجهل هو دون الاثر الذى ينشأ عن الفكر وهو يخلق الحقيقة خلقا

فليس للحكمة ان تهب الخلود للشعر وهو عاو عن الفن ، ولعل النظم الفصيح القاصر على الحكمة بعيد عن حظيرة الشعر للفرق بين قوله:

كبير النفس تلقاه   هزيل الجسم من سقم

وقول الآخر فى معناه :

اذا سمنت همـة فى الضلوع   فأيتها البـدن الناحل

فليس الجمال فى بيان ان هزال الجسم فى عظام الرجال ينم على كبر نفوسهم ، فقل من تأخذه الروعة لهذا البيان ، اذ هو حقيقة مجردة ، والعلم بالحقيقة المجردة ازلى فى النفوس ، ولكن إلباس هذه الحقيقة لونا من الخيال يجعلها حقيقة ثانية لم يسبق لها وجود فى النفس فتظهر بها فى مظهر الروعة والجلال .

فقد لحظ الفكر فى البيت الاخير بعد تصوره المعنى الحقيقى الثابت وهو استلزام كبر النفس اجهاد الجوارح ، واستلزام هذا نحول الجسم . . . لحظ الفكر مايقابل النحول وهو السمن ، فشاء ان يجعل السمن الذى هو مقابل النحول علة له وهو من الغرابة بمكان ، ثم لحظ الهمة التى هى مناط الطموح المفضى الى اجهاد النفس فاسند اليها السمن بجامع العظمة بينه وبين الكبر ، فصح له اذذاك ان يعلل به النحول ، فكان من مجموع ذلك خيال يوهم النفس انه حقيقة جديدة فيستهويها بما يبتدعه من خلق مالم يكن وايهامها انه قد كان

واما الفكر فى البيت الاول ، فقد مر بالحكمة فأبرزها عارية من جمال الفن ، فكانت بعيدة عما يصعد بها الى سماء الشعر ، ثم يطبعها على مرآة النفس حية خالدة

فالشعر البسيط المعنى ، هو بجمال فنه اعلق بالنفس الشاعرة منه بجلال معناه ، وهو بعيد عن جمال الفن

والنفس بطبعها ميالة الى البحث عما تجهل « حب الاستطلاع » من اجل ذلك يستهويها الغريب فتعلق به حتى اذا الفته واحاطت به هجرته وملت صحبته ، فهى والحقيقة الراهنة قد حواسها ، تتشوف الى ما وراء الحقيقة ، فاذا اخفقت فزعت الى الفكر فراح يعبث بها ويملأ زواياها أعجابا بما يصوره من اخيلة تتراءى لها حقائق جديدة

فاذا علمت ان الحياة انما هى حكمة وفن ، وان الحكمة نواميس يسنها فى الطبيعة المبدع الاول ، وفى الاجتماع المبدع الثانى ، وان الفن هو ما فيهما من جمال ، وان مناط هذه الحكمة العقل ، والعقل عرضة للزوال ، ومناط ذلك الفن الروح ، والروح خالدة ؛ اذا علمت ذلك علمت ان الفن انما هو قوام الحياة الاسمى ، فلم تكن لترتاد المروج والحدائق لو لم تؤخذ العين بسحر ما فى زهرها وشجرها وثمرها من جمال الفن ، ولا لتدخل منزلا لم تسبغ عليه يد الفن جمالا يستهويك بين ارائك تتخللها المناضد ، تعلوها الآنية على احدث فن يجلل الجدر بالرسوم ، والارض بالفراش والرياش

وقد يستهويك ماتسمع وترى من جمال الفن فيخلق فيك فكرة الابداع ، فيسوغ لك اذ ذاك ان تقول : إن الفن فى الأثر بدعة وابداع ايضا ، على انه ابداع الفن فى النفس ، ثم يؤول الى ابداع النفس فى الفن آخر الامر

ثم ان للفن فى المسموع لطف وقع على السمع ، وبعد اثر فى اعماق النفس ، لن يتوفرا فى الفن المنظور من حيث تراك وانت

بسمع الصوت الجميل فتهتز ، تتصور جمال العازف وهو بعيد عنك بجسمه ،وقريب منك بروحه الموقعة على الاوتار ينقلها اليك الحاكى، او يبعثها الى روحك توقيع الفنان من وراء الستار ، فيتوفر لديك مؤثران : الفن الذى تحسه ،وجمال الفنان الذى تتخيله ضرورة انك لاتلحظ الصوت وانت ترى الشخص الجميل ،بينما لاتسمع الصوت الجميل الا وتتصور جمال الشخص من ورائه

الروح فى الفن :

فى كل كائن ثلاث ميز : جنسية ، ونوعية ،وذاتية ؛ ففى الانسان مثلا ما يميزه من الجماد وهى حيوانيته ، ومايميزه من العجماوات وهى انسانيته ، ثم مايميزه من غيره من أبناء نوعه وهى شخصيته . والشخصية هنا هى مايميز الشخص من أفراد نوعه فى شكله لافى روحه ، فالروح لاتلمس الا بآثارها ، ولا يمكن للرسام وهو الشاعر الصامت أن يصورها وهى متصلة بالروح (سر الحيـــاة الغامض) ولكنه يستطيع ابراز شخصية النوع كآثار النفس الناطقة لما يدل عليها من أمائر تبدو على أسرة الوجه ، ورسم الاعضاء على كيفية تشير الى النفسيات بما عودت الناظر عليه فى حقيقة الحى قبل رسمه

فريشة الرسام لا تتناول رسم الاعضاء بما يميز الشخص فى جنسه أو نوعه فحسب حتى تتناول شخصيته التى تميزه من غيره من افراد نوعه ، ومناط التفاضل بين أولى الفن انما هو فى ابراز هذه الشخصية مشفوعة بميزة النوع

فاذا لم تقرأ فى الرسم مايقفك على خصائص نوعه كآثار النفس الناطقة فى الانسان من حيث تفكيره وعواطفه ، ثم نسبة هذه الخصائص الكلية فى النوع الى الخصائص الجزئية فى الشخص ، فلن تستطيع أن تقف من هذا الرسم على روح تلمس من ورائها جمال الفن فيه

فالروح فى فن التصوير هى أن تجمع الى خصائص النفس النوعية فيما تصور خصائصها الشخصية التى يمتاز بها الفرد من غيره من ابناء نوعه

فاذا توفرت هذه فى الرسم خلق فى نفسك — وانت تراه — الروعة بما يمثل لك من حقيقة فى الخارج حتى كانك تلمسها بروحك

وهكذا هى — أى الروح — فى تصوير الاشياء : جمال فى الرسم يلمسك حقيقة ما أخذ عنه لما تجدك معه معجبا بما تتصفح من خيال رائع

اما الرسوم الخيالية (كاريكاتور) كرموز الآلهة وصور الشياطين ونحوها فمناط الابداع فيها انفعال نفس الناظر اليها بما خلقت له كالجمال والحب والخير والشر فى رسوم الآلهة، وكالارهاب والتفكهة والحمل على السخرية فيما عداها من الرسوم

فالروح هنا هى تأثير الرسم فى النفس بما رسم له ليصح معنا أن الروح فى كلا الامرين : نقل الحقيقة وخلقها ، انما هى إلماس الرائى حقيقة ما ينقل الرأسم أوحقيقة ما يتخيل

والروح الفنية تختلف باختلاف فنونها ، فالروح فى فن الرسم هى غير الروح فى فن النظم ، والروح فى هذين غيرها فى فن الموسيقى ، فهى فى الرسم منتزعة من المرسوم ، واما فى المنظوم فهى منتزعة من الناظم . اذ الشاعر يصور غيره فى طريقه الى تصوير نفسه ، واما الرسام فيصور نفسه فى طريقه الى تصوير غيره ، فنظم الشاعر مرآة تريك نفسه ، ونفس الرسام مرآة تريك رسمه

وبأوضح من هذا إنك وأنت تدرس فن الرسم تلمس روح الفن من حيث اتصالها بالمرسوم قبل الراسم ، وفى درسك فن الشعر تلمس روح الفن من حيث اتصالها بالشاعر قبل مايشعر به ، من أجل ذلك تراك شديد الحرص على معرفة الشاعر لدى سماعك قطعة من شعره هى غاية فى الابداع ، بينما ترى الصورة الجميلة على الجدار فتفتتن بها من حيث فنها ، ثم لا تجدك شديد الميل الى معرفة من أبدعها . فلحاظك الشاعر وهو يستهويك بشعره ، فوق لحاظك الرسام وأنت تعجب بما يرسم

على أن الفرق بين روحى فن الرسم وفن الشعر جد دقيق ، لدقة الفرق بين الرسام والشاعر ، ولعل الرسام شاعر صامت

فالرسام وهو يصور لك الحقيقة فى الخارج تصويرا حقا هو ابلغ اثرا فى الفن منه وهو يخلق حقيقة مايرسم ، واما الشاعر فمناط خلوده ان يخلق ما يصوره من الحقائق ، لما مر بك من ان الفن انما هو ابداع ، على ان كليهما مبدع كما سيجىء

فليس للفنان فى الرسم مهما ابدع فى خلق الصور الخيالية (كاريكاتور) ما للفنان فى الشعر وهو يتخيل فينتزع لك من الصور الحقيقية صورا خيالية يوهمك انها حقيقة جديدة

واذا قصرنا ابداع الفنان فى الرسم على تصوير الحقيقة الخارجية تصويرا بالغاً فليس معنى ذلك ان الفنان لم يأت بجديد فيكون هذا القول معارضاً لماسبق من ان الفنان يخلق الحقيقة خلقا ، لانا نعتبر تصويره البالغ للحقائق هو خلقا جديدا لها ، إذ يوهمك انه عين مايصور

من حقيقة ، فيكون هذا الابهام ابداعا يشير الى حقيقة ثانية خلقها فكر الفنان.

فالحقيقة التي يخلقها الفنان إما أن تكون متحققة فى الخارج مادة وشكلا ثم يصورها لك بشكلها ومادتها حتى كانك تحس بها حقيقة فيثير فيك الاعجاب لما يوهمك من انها هى هى فكأنما قد خلقها خلقا ، او ان الحقيقة التي يخلقها هى نفس الابهام مشفوعا بما يبعثه فيك من الروعة والاعجاب

واما ان تكون تلك الحقيقة المخلوقة متحققة فى الخارج مادة لاشكلا كالخيال الذى يبدع الشاعر فانه ينتزع من صور الحقائق الخارجية حقيقة جديدة يوهمك انها موجودة فى الخارج كما فى قول ابن خفاجة فى نارنجة

وحاملة من بنات القنا أماليد تحمل خضر العذب
وتندى بها فى مهب الصبا زبرجدة أثمرت بالذهب

فالزبرجد والاثمار والذهب كل منها موجود فى الخارج ، ولكن الشكل الذى أبدعه الخيال منها وهو اثمار الزبرجدة بالذهب هو غير موجود فى الخارج ولكنه من خلق الخيال .

فالابهام اذن لا يفارق الفن فى الشعر والرسم ، فمناط الاعجاز فى فن الرسم هى الحقيقة الاولى ، ومناط الاعجاز فى فن الشعر هى الحقيقة الثانية ، وقد يعجز الشاعر فى تصوير ما فى الخارج من حقيقه كما قد يعجز الرسام فى ابداع ما يخلق من حقيقة ليس لها وجود فى الخارج

والروح فى فنى الشعر والموسيقى مصدرها واحد هو العاطفة ، على أن الروح فى فن الرسم مصدرها الفكر والخيال ، والفرق بين الروح الشعرية وروح الفن الموسيقى هو أن مظهر هذه هو الصوت من حيث توقيعه وترجيعه ، ومظهر تلك هو اللفظ من حيث يبعث فى نفسك ما انفعلت به نفس الشاعر وهو يلفظه ، وهذه الروح التى نفرق بينها وبين روح الفن الموسيقى ، انما هى الروح التى تقابل الفن والعلم فى الشعر لا الروح التى هى داخلة فى قوام الفن فى الشعر ، فان فى الشعر روحين احداهما داخلة فى قوام الشعر وهى هذه المعبر عنها بالتأثر النفسى المتنقل باللفظ من نفس الشاعر الى نفس السامع أو المطالع كما تنقل الاوتار تأثرات الموقع عليها الى سامعها

وثانيتهما داخلة فى مفهوم فن الشعر وهى المعبر عنها بالذوق الشخصى فى الشاعر ينقلها اللفظ من حيث تصويره للحقائق منقولة او متخيلة ، وهذه تتفق مع الروح فى فن الرسم من حيث المصدر ، فكلتا هما تصدر عن الفكر والخيال

فالروح فى فن التصوير تتفق مع الروح فى فن الشعر من حيث مصدرها وهو الخيال والفكر ، وتختلفان من حيث اعجازهما فى الابداع ؛ فالاولى انما تعجز فى نقل الحقائق ، والثانية انما تعجز فى خلقها

والروح فى الشعر التى تقابل العلم والفن تتفق مع الروح فى فن الموسيقى من حيث المصدر الذى هو العاطفة ، وتختلفان من حيث المظهر ، فان مبعث التأثر فى نفسك من الاولى هو الصوت من حيث التوقيع والترجيع ، ولا مدلول له الا انفعال النفس من ورائه ، واما مبعث التأثر من الثانية فهو اللفظ من حيث نقله التأثر اليك بواسطة حروفه لا صوته

فمدلول الصوت طبيعى من حيث يتناول ما يختلج فى الصدر بلا واسطة ، ومدلول اللفظ وضعى يتناول روح اللافظ بواسطة مدلوله الخارجى

فلا بد لنا اذن من العود الى ان نعيد قولنا فى الشعر من أنه علم وفن وروح ، فقوام العلم الفصاحة ، وقوام الفن الخيال ، وقوام الروح العاطفة (١)

الحوماني

(١) انظر فى كلامنا على الشعر من كتاب العبقرية الماثل للطبع

الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية

٢ - مرحلة الكفاح وبداية الظفر

للأستاذ محمد عبد الله عنان

لم يشهد التاريخ الحديث ثورة ضئيلة فى نشأتها ، عظيمة شاملة فى نتائجها كالثورة الوطنية الاشتراكية الألمانية ؛ فان تلك الجماعة المغمورة التى قامت فى ميونيخ باسم حزب العمال الوطنى الاشتراكى بزعامة ادولف هتلر والتى لم تتجاوز السبعة ، كانت أول حجر فى صرح الحركة الوطنية الاشتراكية الالمانية التى اخذت تغمر المانيا لأعوام قلائل من ظهورها ، والتى توجه اليوم مصاير الشعب الالمانى .

قامت هذه الجماعة فى ميونيخ سنة ١٩١٩ على نحو مابيناوانتظم فيها الضابط الصغير والبناء النمسوى السابق ادولف هتلر ، ليتولى بعد قليل زعامتها وتنظيمها ، فماذا كانت ترجو وعلام كانت تعتمد؟ من الصعب أن نعتقد أن هذه الزمرة من رجال لا ماضى لهم ولا عصبة ، وليست لهم أية كفايات خاصة ، كانت يوم انتظامها تؤمل أن تفوز فى ميدان الكفاح السياسى بتلك السرعة المدهشة ، لتفرض برنامجها بعد ذلك على الشعب الألمانى كله . ولكن الذى لاريب فيه أن ظروف المانيا عقب الحرب الكبرى ، وما سرى اليها من عوامل الانحلال واليأس والفوضى ، كانت تفسح مجالا للظهور والمغامرة ؛ وكانت أية دعوة الى الخلاص والنهوض والامل تلقى فى هذه الغمار المظلمة قبولا . وقد كانت الحركة الوطنية المحافظة التى كانت ميونيخ مهدا لها ، تتخذ شعارها العمل على انقاذ المانيا من ويلات الهزيمة ، ومن براثن الفوضى الاشتراكية والشيوعية ؛ فكانت عصبة هتلر تحمل لواء هذه الدعوة ، وتعمل فى جو من العطف الذى يتمتع به ابان اليأس العام كل من القى كلمة الخلاص والامل .

وفى هذا الجو استطاع هتلر أن ينظم حزبه وأن يجمع له الأنصار . وكانت المهمة شاقة ، ولكن هتلر استطاع بكثير من العزم والمثابرة والجلد أن يحول عصبته الصغيرة الى حزب سياسى هو : «حزب العمال الوطنى الاشتراكى الالمانى» . ووضعت مبادىء الحزب الاساسية فى فبراير سنة ١٩٢٠ فى ميثاق وطنى يتألف من خمس وعشرين مادة ترمى الى اغراض خمسة : «الاول» الاستيلاء على الحكم والسلطة . «الثانى» سحق الحركة المركسية (الاشتراكية والشيوعية) «الثالث» صبغ المانيا كلها بالصبغة الوطنية الاشتراكية . «الرابع» تحقيق وحدة الشعوب الجرمانية (المتكلمة بالالمانية) . «الخامس» تنقية الجنس الالمانى وتطهيره من كل شخص يجرى فى عروقه دم يهودى أو دم آخر غير آرى . ولهذه الغاية الأخيرة التى صيغت فى المادة الرابعة (١) من الميثاق ، اهمية خاصة ؛ لان فكرة الايثار الجنسى لم تبد من قبل فى برنامج أى حزب من الاحزاب السياسية بمثل هذه الصراحة ؛ وسنرى انها غدت منذ استيلاء الحزب الوطنى الاشتراكى على السلطة من أخطر المشاكل الاجتماعية والسياسية التى تواجهها المانيا ، والتى مازالت تعانى من جرائها كثيرا من المتاعب والصعاب .

سار الحزب الوطنى الاشتراكى الجديد فى طريق التقدم بسرعة ، ولقى برنامجه كثيرا من العطف والتأييد ؛ والفى فى حوادث سنة ١٩٢٣ (مثل نكبة العملة واحتلال الروهر) وما بثته فى المانيا من البؤس واليأس مهادا خصبة لدعوته ، وبلغ اعضاؤه يومئذ نحو الفين . وأيده جماعة كبيرة من القادة والضباط القدماء وعلى رأسهم الجنرال لودندورف ؛ وأيده كثير من رجال المال والصناعة الذين خشوا عواقب تقدم الحركة الشيوعية ولم يدخروا وسعا فى مقاومتها ؛ وأخذ هتلر يجمع الانصار حول علمه ذى الصليب المدبب (سفاستكا) وانشأ لحزبه قوة شبه عسكرية لتحفظ النظام أثناء الاجتماعات وغيرها من المناسبات وهى التى غدت فيما بعد جناح الهجوم الشهير SturmAbteilnng ؛ وانشأ حرسا من خاصة أعوانه وانصاره لحمايته وحماية زعماء حزبه وهو المعروف بفرقة الحماية Schutz Staffel . وبذا اتخذ الحزب الوطنى الاشتراكى لونا عسكريا قويا ؛ والفى هتلر فى هذا الوقت نفسه (ربيع سنة ١٩٢٣) فى حوادث بافاريا فرصة للقيام بأول محاولة عنيفة . وكانت بافاريا تضطرم يومئذ بحركة رجعية قوية ترمى الى اسقاط حكومة برلين

---

(١) وهذا هو نصها : «لا يحق لغير أعضاء الامة ان يكونوا مواطنين فى الدولة . ولا يحق لغير أولئك الذين يتحدرون من دم المانى ، مهما كان مذهبهم ، أن يكونوا اعضاء فى الامة . واذن فليس لاى يهودى ان يكون عضوا فى الامة»

الجمهورية واعادة الملكية فى بافاريا ، على رأسها فون كار رئيس وزارة بافاريا السابق والجنرال فون لوسوف مبعوث « الريخ » -حكومة برلين - العسكرى والكولونل سايزر مدير البوليس . فتفاهم زعماء هذه الحركة مع الجبهة الوطنية الاشتراكية التى يتزعمها هتلر ولودندورف لان الحركتين ترميان الى غرض واحد ؛ واتفق الفريقان على ان ينظم الزحف على برلين واسقاط الحكومة ؛ ولكن فون كار تخلى عن الوطنيين الاشتراكيين فى آخر لحظة ، ونظم هتلر واصدقاؤه الحركة وحدهم ، وبدأ الثورة بأن أطلق رصاص مسدسه على سقف محل للبيرة فى ميونيخ فى اجتماع حافل ، واعلن ان الثورة الوطنية قد بدأت ضد « حكومة برلين اليهودية » . ولكن السلطات البافارية كانت على أهبة ؛ فقتل عدة من رجال النازى ، وجرح الكبتن جيرنج أخص اصدقاء هتلر وساعده الأيمن ولكنه حمل خلسة الى ايطاليا ؛ وقبض على هتلر ولودندورف . وصدر قرار بحل الحزب الوطنى الاشتراكى ومنع اجتماعاته - نوفمبر سنة ١٩٢٣ - . وبرىء لودندورف ولكن هتلر قضى عليه بالسجن فى قلعة لخمسة أعوام - ابريل سنة ١٩٢٤ - . وزج الى قلعة لانجسبرج فبقى فيها ثمانية أشهر كتب أثناءها كتابه المعروف « جهادى » Mein Kampf ؛ وفيه يقص حياته ويشرح مبادىء الحركة الوطنية الاشتراكية وغايتها ويرد على خصومه اليهود . وهومؤلف لا طرافة فيه ولا قوة ، ولا ينم عن مواهب فكرية أو أدبية ممتازة ، بيد أنه ينم عما تضطرم به نفس هتلر من عزم وجلد . ثم أفرج عنه . وكان حزبه قد تفرق ؛ ولكنه عاد الى جمعه وتنظيمه بنفس عزمه وهمته ، وظهر يومئذ فى الجماهير بمقدرته الخطابية وذلاقته وقوة تأثيره . وكان هذا التأثير وما زال أعظم خواصه ومواهبه . وكان يعمل عمله فى صفوف الشباب بنوع خاص ، اذ كان هذا الشباب الطامح يعانى من صنوف الشقاء واليأس والفاقة أشدها ، ويتطلع دائما بحماسة ولهفة الى طريق الخلاص المنشود .

وظهر تقدم الدعوة الوطنية الاشتراكية واضحا فى انتخابات مايو سنة ١٩٢٤ ، اذ نال حزب هتلر نحو مليونى صوت تخوله فى الريخستاج ٣٢ كرسيا . ثم فتر هذا التقدم خلال الاعوام التالية ، أولا لتحسن الاحوال الداخلية ولاسيما الحالة الاقتصادية وانتعاش الآمال نوعا ، وثانيا لان الحكومات المتوالية اخذت تشتد فى مقاومة الحركة لما رأته من تقدمها وخطورتها . بيد أن الحزب الوطنى الاشتراكى استمر فى كفاحه ، وعادت دعوته بعد وفاة شتريزمان وانهيار سياسة الوفاق واضطراب حكومة برلين من جراء ذلك ، تسرى فى الجموع بسرعة ، حتى بلغ أعضاؤه فى سنة ١٩٣١ ، أربعمائة ألف ؛ ونال فى انتخابات ديسمبر سنة ١٩٣٠ نحو ستة ملايين ونصف مليون صوت تخوله فى الريخستاج ١٠٧ كرسيا ؛ ووصل ذروة ظفره فى انتخابات يولية سنة ١٩٣٢ حيث نال نحو أربعة عشر مليون صوت تخوله ٢٣٠ كرسيا ، وهو ما يقرب من خمسى اعضاء الريخستاج ، وأضحى بذلك أقوى الاحزاب البرلمانية ، وقوى أمله فى انتزاع الحكم . ورشح هتلر نفسه فى ذلك الحين لانتخاب رآسة الجمهورية ضد المارشال هندنبورج فلم يفز المارشال امام منافسه القوى الا فى الدورة الثانية . وبذلت حكومة فون بابن القائمة وقتئذ جهودا عنيفة لوقف تيار الحركة الوطنية الاشتراكية ، وحلت الريخستاج واجرت انتخابات جديدة فى نوفمبر سنة ١٩٣٢ ، فنال الوطنيون الاشتراكيون فيها مع ذلك ١٩٦ كرسيا . وأضحى الرئيس هندنبورج وحكومة برلين أمام الامر الواقع ؛ وأضحى واضحا انه لا يمكن لاية قوة أن تقف فى وجه هذا التيار الجارف ؛ وان الوسائل المصطنعة لا تجدى فى مقاومته ، وأن السلطة صائرة اليه بلا ريب . وكان الرئيس هندنبورج قد دعا هر هتلر عقب انتخابات يوليه ليفاوضه فى امكان اشتراكه فى الحكم ، ولكن هر هتلر أصر على تولى السلطة كاملة غير منقوصة . وهذا ما أباه الرئيس هندنبورج مدى حين . وكان الماريشال يبدى فى الواقع ترددا فى الثقة بالوطنيين الاشتراكيين ويخشى وجودهم فى الحكم وقد ظهر ذلك واضحا فى موافقته على حل البرلمان أكثر من مرة خلال أشهر قلائل ، وفى تفويضه للهر فون بابن ثم من بعده للجنرال فون شليخر ، أن يتذرع بالسلطة المطلقة وأن يحكم بمقتضى قوانين الطوارىء ، وذلك لان أحداً منهما لم يتمتع بثقة الريخستاج ، ومع ذلك فانه لم يمض على انتخاب البرلمان الجديد شهران حتى كانت حكومة فون شليخر فى دور النزع وحتى كان الرئيس الشيخ يفاوض هتلر فى تولى الحكم . وقد كان هذا التطور الفجائى فى موقف المارشال ومستشاريه مثار دهشة عامة ، خصوصاً اذا ذكرنا ان الحزب الوطنى الاشتراكى لم يكن يومئذ فى ذروة قوته ، ولم تكن له فى البرلمان سوى أقلية ، وكانت قد نضبت موارده وخبت قواه . ومن الغريب أن يكون رجل هذا التطور ومدبره ون بابن الذى لم يدخر أثناء حكومته وسعا فى سحق هتلر وحزبه

وقد فسر هذا التطور يومئذ بان استدعاء هتلر الى الحكم لم يكن الا وسيلة لتحطيم نفوذه وتمزيق حزبه ، وان هذا الاضطلاع باعباء الحكم ومسئولياته سيصهره ويكشف عن ضعفه ، وانه من جهة أخرى لن يتمتع بالسلطة كاملة ، وستتخذ الضمانات الكفيلة بكبح جماحه ومنعه من اطلاق العنان لمشاريعه المتطرفة التى كانت تعتبر يومئذ خطرة على مستقبل المانيا ومصالحها ومركزها الدولى . وعلى أى حال فقد وقع الانقلاب الحاسم أخيراً ، وعهد المارشال هندنبورج الى الهر أدولف هتلر بتولى رياسة الحكم فى ٣٠ يناير سنه ١٩٣٣ ودخل الوزارة معه من أقطاب حزبه الكبتن جيرنج وزيراً للداخلية . ولكن اعطيت وكالة الرياسة ورآسة وزارة بروسيا للهرفون بابن ، ووزارة المالية لزعيم الحزب الوطنى الهر هوجنبرج ، ووزارة الخارجية للبارون فون نويرات ووزارة الدفاع لقائد مسؤول مباشرة لدى الرئيس هندنبورج ، وبذا أعطيت السلطات الهامة لرجال يثق المارشال بفطنتهم واتزانهم وحسن تقديرهم

على ان هذه الضمانات التى اريد ان يحاط بها حكم الوطنيين الاشتراكيين كانت نظرية ، وكان هرهتلر بالعكس يعتقد ان هذه الخطوة انما هى تحقيق للشطر الاول من برنامجه ، وهو الاستيلاء على السلطة ؛ ويجب ان يكون هذا الاستيلاء عمليا كاملا . وسرعان ماتدفق تيار الوطنية الاشتراكية منذ المساء الذى تقلد فيه الزعيم Fuerher «اى هتلر» رآسة الحكم ، وهرعت فرق الهجوم ذوى الاردية السمراء آلافا مؤلفة تحيي الزعيم فى مكتب الرآسة وتهتف له حتى منتصف الليل . ومنذ تلك الليلة ظهر الحزب الاشتراكى فى ذروة قوته ، وشعر زعماء المانيا السابقين وشعر الشعب الالمانى كله بان عهدا جديدا سيفتتح . ثم توالت الحوادث بسرعة فوقع حريق الريخستاج فى ٢٧ فبراير ؛ وكان الريخستاج قد حل مرة أخرى لان هتلر لم يثق بمجلس ليست له فيه اغلبية قوية ، ولم يرد ان يبقى تحت رحمة حلفائه اعضاء الحزب الوطنى وحزب الوسط الكاثوليكى ؛ وتحدد للانتخابات الجديدة يوم ٥ مارس فوقع حريق الريخستاج قبله بأيام قلائل ، ونسبت الحكومة الجريمة الى الشيوعيين واتخذتها ذريعة لسحق كتلة اليسار اعنى الديموقراطيين والشيوعيين فقبضت على زعمائهم وصادرت مراكزهم واموالهم وطاردتهم بمنتهى العنف والشدة ؛ وصرح الهر هتلر وزملاؤه يومئذ بان لديهم الادلة الحاسمة على ان الجريمة انما هى بدء فقط لثورة دموية مخربة واسعة النطاق يدبرها الشيوعيون لقلب الحكومة . ولكن حريق الريخستاج لبث مع ذلك حادثاً غامضا مريبا ولم يقتنع الرأى الخارجى بهذه التأكيدات ؛ ووجهت بشأنه شكوك وتهم خطيرة الى الحزب الوطنى الاشتراكى ذاته (١) وعلى أى حال فقد ساعد هذا الحادث على ظفر الهتلريين فى الانتخابات فخرجوا بأغلبية قوية وفاز الديموقراطيون مع ذلك بنحو مائة وثلاثين كرسى والشيوعيون بنحو ثمانين وعقد الريخستاج الجديد فى ٢٣ مارس ؛ ولم يشهده النواب الديموقراطيون والشيوعيون لانهم كانو جميعا فى السجن او فى المنفى ، وفى هذه الجلسة حصل الهر هتلر على تفويض بالحكم المطلق والتشريع لمدة اربعة أعوام ، ولم يبق له حاجة بعد ذلك الى موافقة الرئيس هندنبورج أو توقيعه ، وتحققت بذلك الدكتاتورية المطلقة التى ينشدها الحزب الوطنى الاشتراكى ، ولم يمض سوى قليل حتى انتزع هتلر الوزارات التى كانت بيد حلفائه وشغلها بأصدقائه ومعاونيه ، وتوارى جميع الزعماء والقادة الآخرين من الميدان ؛ واضحى هتلر سيد المانيا المطلق ومن ورائه حزب زاخر قوامه اليوم خمسة ملايين .

يتبع — **محمد عبدالله عنان**

(١) صدر الحكم اخيرا (٢٣ ديسمبر سنه ٩٣٣) فى قضية حريق الريخستاج التى كانت تنظر منذ اشهر امام محكمة ليبزج العليا بتبرئة الزعيم الشيوعى تيرجلر وباقى الشيوعيين المتهمين ولم يحكم فيها الا على شيوعى هولندي مخبول هو فان درلوبه وبذلك لم يثبت ان الجريمة كانت من تدبير الحزب الشيوعى الالمانى

نكبة البرامكة

للسيد مصطفى جواد

لعل أغرب ماوهم فيه المؤرخون فعمى عليهم سبب تدمير الرشيد للبرامكة أنهم عدوا بنى برمك دعاة للعلويين ومذ يعين لمذهب التشيع فى البلاد ، والمشكلة التاريخية إذا استبهم جانب منها تشعبت فيها الظنون واختلفت الآراء واضطربت الاحكام . ولو علم المؤرخون ان البرامكة كانوا يتقربون الى الرشيد بالسعى على العلويين والسعى بهم وتبغيضهم لوجدوا الى سبب تلك الفتكة الهاشمية سبيلا ، وعلى الجلية دليلا ، ولعلموا أنهم لما حق عليهم العذاب دمرهم الله تدميرا ،

لم يكن استئثارهم بالحكم وحده سبب هلاكهم ، ولا غزارة ثرائهم مدعاة الى النقمة عليهم ، ولا الزواج الذى اختلقته الشعوبية موجبا لاستئصالهم ، ولا الحادم منبها على عقابهم ، وإنما الندامة التى ندمها الرشيد بعد أن استدرجوه إلى تشريد بنى عمه العلويين واستحلال دمائهم الزكية وتعذيب الابرياء منهم العذاب الهون ؛ لم يكن الرشيد ملحداً حتى لايندم ، ولا بليداً حتى لاينتبه ، ولا شقيا حتى لا يتوب ، ولا مقصراً حتى لا يتدارك . من شفيعهم اليه وقد ولغوا فى دماء بنى على وطلبوا الزلفى بتعذيبهم ، وأعلوا مراتبهم بخفض العصبية الهاشمية واجتثاث الشجرة النبوية ؟ ولقد جرؤوا بالحادم وسوء سيرتهم أن « جعفرهم » حز رأس حبيسه العلوى « عبد الله الشهيد بن الافطس » فى يوم النوروز ، وأهداه إلى الرشيد فى طبق الهدايا ، فلما رفعت المكبة من فوق الطبق ورأى الرشيد رأس ابن عمه استعظم ذلك ، فقال له جعفر : ما علمت أبلغ فى سرورك من حمل رأس عدوك وعدو آبائك اليك ، وكان الرشيد قد حبسه عند جعفر وأمره بان يوسع عليه . وقال ذات يوم : اللهم اكفنيه على يدى ولى من أوليائى وأوليائك ، فلم يجد هذا الشقى الكفاية إلا بقتله صبراً لا سيف معه يذود به عن نفسه ، ولا بنو على حوله يحوطونه ويكلأونه ، ولا شفيع يردعنه لؤم الزنادقة ، وهو الذى شهد وقيعة « فخ » متقلداً سيفين ينفح عن حق كان يراه مبزوزاً ، ويكافح عن سيد كان يرى نفسه محلاً عن مكانته ، فلما أسر أخذه الرشيد وحبسه عند جعفر — على ما قدمنا — فضاق صدره بالحبس وكتب الى الرشيد رقعة يشتمه فيها شتما قبيحا ، فلم يلتفت الى ذلك لأنه عالم بالعزة العلوية والاستبسال الهاشمى ، ولم يأمر الا بالتوسيع عليه والترفيه عنه ، فكان من أمره مع جعفر ما كان . (١)

وقال السيد نعمة الله الجزائرى (٢) فى سبب هلاك البرامكة على يدى الرشيد ، وقد ذكرنا أن السبب فيه ظاهر حكاية العباسة أخت الرشيد ، وأما السبب الحقيقى فهو دعاء أبى الحسن الرضا — ع — على آل برمك فى موقف عرفة لأنهم سعوا بالكاظم — ع — وكانوا أقوى الأسباب فى شهادته (٣) وهذا التعليل وأن أورده الجزائرى على حسب اعتقاده وتربيته الدينية ؛ ففيه رد شديد على القائلين بأن هوى البرامكة كان مع العلويين ؛ وبلغ الطيش ببعضهم ان جعلوا كل حركة للفرس دعوة للعلويين وطلاباً بحقهم ، وانتصاراً لهم ، ونشراً لمذهبهم ، وأين الزندقة من صريح الاسلام ؟

وقال بهاء الدين أبو الحسن على بن فخر الدين عيسى الاربلى الكردى فى ترجمة الامام موسى بن جعفر الكاظم ما صورته « وكان السبب فى قبض الرشيد على أبى الحسن — ع — وقتله ما ذكره أحمد بن عبيد الله بن عمار عن على بن محمد النوفلى عن أبيه.. عن مشايخهم قالوا : كان السبب فى أخذ موسى بن جعفر — ع — أن الرشيد جعل ابنه فى حجر جعفر بن محمد بن الأشعث فحسده يحى بن خالد بن برمك على ذلك وقال : إن أفضت اليه الخلافة زالت دولتى ودولة ولدى ، فاحتال على جعفر بن محمد — وكان يقول بالأمامة — حتى داخله وأنس به ، فكان يكثر غشيانه فى منزله فيقف على أمره ويرفعه الى الرشيد ويزيد عليه فى ذلك بما يقدح فى قلبه ، ثم قال لبعض ثقاته : أتعرفون لى رجلا من آل أبى طالب ليس بواسع الحال يعرفنى ما أحتاج اليه ، فدل على على بن اسماعيل بن جعفر بن محمد ، فحمل اليه يحى بن خالد مالا ، وكان موسى — ع — يأنس بعلى ابن اسماعيل ويصله ويبره ، ثم أنفذ إليه يحى بن خالد يرغبه فى قصد الرشيد ويعده بالاحسان اليه ، فعمل على ذلك ، فأحس به موسى — ع — فدعا به وقال له « الى أين يا ابن اخى ؟ » قال الى بغداد . قال وما تصنع ؟ قال على دين وانا مملق ، فقال له موسى : أنا أقضى دينك وأفعل لك واصنع . فلم يلتفت الى ذلك ، وعمل على الخروج ، فاستدعاه أبو الحسن — ع — وقال له : أأنت خارج ؟ قال: نعم لابد لى من ذلك ، فقال له : انظر يا ابن أخى واتق الله ولا توتم أطفالى : وأمر له بثلثمائة دينار وأربعة آلاف درهم . فلما قام من بين يديه ،

« ١ » عمدة الطالب فى أنساب آل أبي طالب ص ٣١٥ « ٢ » نسبة الى جزائر واسط « ٣ » زهر الربيع ص ٢٠٥

قال لمن حضره : والله ليسعين فى دمى ويوتمن أولادى . فقالوا : «جعلنا فداءك ،أو أنت تعلم هذا من حاله وتعطيه وتصله ؟قال نعم، حدثنى أبى عن آبائه عن رسول الله ـ ص ـ أن الرحم اذا قطعت فوصلت فقطعت قطعها الله ، وانى أردت أن أصله بعد قطعه ، حتى اذا قطعنى قطعه الله ، قالو اتخرج على بن اسماعيل حتى أتى يحيى ابن خالد فتعرف منه خبر موسى بن جعفر ـ ع ـ فرفعه الى الرشيد، وسأله الرشيد عن عمه فسعى به إليه وقال له : إن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب وأنه . . . » حتى قال « ثم خرج يحيى بن خالد على البريد حتى وافى بغداد ،ثم دعا السندى بن شاهك فأمره فى موسى بن جعفر بأمره فامتثله ، وكان الذى تولى به السندى قتله جعله سما فى طعام قدم إليه ، ويقال إنه جعله فى رطب فأكل منه موسى واحس بالسم ولبث بعده ثلاثاً موعوكا ثم مات فى اليوم الثالث . . . واخرج ووضع على الجسر ببغداد . . . فأمر يحيى ابن خالد أن ينادى عليه عند موته : هذاموسى بن جعفر الذى تزعم الرافضة أنه لايموت فانظروا إليه (١) » .

فهذا الدليل الثانى على خطأ من نسب البرامكة إلى التشيع والامامة ، فلقدكانوا حربا على الامامة وعيونا على التشيع وراءها الفتك والزندقة ، ومحاربة الاسلام بلأمته ، ونقل على بن عيسى الاربلى المذكور أن محمد بن الفضل قال: «لماكان فى السنة التى بطش هرون فيها بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيى وحبس يحيى بن خالد ونزل بهم مانزل كان أبو الحسن (على بن موسى الرضا) واقفا بعرفة يدعو ثم طأطأ رأسه فسئل عن ذلك فقال : إنى كنت ادعو الله على البرامكة فقد فعلوا بابى مافعلوا ، فاستجاب الله لى فيهم اليوم فلم يلبث إلا يسيرا حتى بطش هرون بجعفر وحبس يحيى وتغيرت حالهم (٢) » .

فهذا الخبر كالذى أورده السيد نعمة الله الجزائرى مضارة بنى برمك لبنى على ، ولكنه أقدم منه نقلا ـــ كما نعرف من تاريخ المؤلفين ـــ وكلاهما نظر فيه نظراً دينيا ، ومع ذلك يدلان على كره الامام الثامن من الأئمة الاثنى عشر للبرامكة ودعائه عليهم ربه ، وقال محمد تقى التبريزى « من الاغلاط المشهورة ما اشتهر من ان البرامكة كانوا من المتشيعة حتى أن أيدمر بن على الجلدكى ، ذكر فى كتاب نهاية الطلب فى شرح المكتسب بتقريب : انه كان سبب بطش هرون الرشيد بهم ما اشتم منهم انهم يريدون تحويل الدولة من آل العباس الى آل على ،وذلك كله غلط نشأ من قلة التتبع ،فان البرامكة ـــ لعنهم الله ـــ هم الذين سعوا فى قتل موسى عليه السلام فان يحيى بن خالد هو الذى بعث على بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن أخى موسى على السعاية بموسى عند هرون لداع دعاه الى ذلك مذكور فى كتب الأخبار، والفضل بن يحيى هو الذى بعث بالسم اليه فقتله بأمر هرون وبيد السندى بن شاهك ، بل روى ان يحيى لم يكتف بذلك حتى أراد أن يغرى هرون بقتل الرضا ، فقال له هرون : أما يغنينا ماصنعنا بأبيه ؟ أتريد أن نقتلهم جميعا ؟ وقد رواه الصدوق (١) فى العيون « عيون أخبار الرضا » عن صفوان بن يحيى وذكر فى آخره أن البرامكة كانوا متعصبين على أهل بيت رسول الله ـــ ص ـــ مظهرين العداوة لهم ، وبالجلة الذى يظهر من الاخبار المعصومية ان الله لم يغير ما بالبرامكة من النعمة الامن جهة سعيهم ومباشرتهم قتل موسى، فكيف يجرى فيهم هذا الاحتمال ؟» عن صحيفة الابرار « ٢ : ٣٩٦ » .

وهذه شهادة من أقوى الشهادات ،فان محمد تقى التبريزى هذا شيخى المذهب فارسى الاصل والبرامكة من جنسه ، ولكن الحق عزيز على أهله فلا يضيعونه ولا يفارقونه ، وحل هذه المشكلة التاريخية « ان البرامكة اذ أدخلوا الرشيد سياسة البغى واستدرجوه الى قسوة الحكم وقتل السادة الأبرار الأبرياء من بنى عمه تلقفهم بالرأى الحازم الحاسم ووضع فيهم السيف وعراهم بالمصادرة والعذاب ،فعفى على آثارهم وبئست عاقبة القوم المكذبين بالدين الساعين فى قتل السادة العرب وحفظة الاسلام وأهل الهدى والتقوى ، ولولم يكن لهم من المساعى الخبيثة النتائج الا قتلهم موسى بن جعفر لاستحل خليفة الزمان قتلهم ،فكيف وقد ضحوا بكثير من العلويين وغيرهم من بهاليل العرب؟ فالرشيد إذن قد ندم على ماكان منه من الغفلة وأسف على أرواح أولئك الأبرياء وفطن لما يريد بنو برمك به وبالاسلام وسادات العرب ، فانتقم وتدارك واستغفر ، وهل من دليل على ذلك أقوى من قوله ليحيى ـــ وقد نقلناه « أما يغنينا ما صنعنا بأبيه ؟ أتريد أن تقتلهم جميعاً ؟» ومن أنه لما أرسل مسروراً الخادم لقتل

---

(١) كشف الغمة فى معرفة الائمة لعلى بن عيسى الاربلى الكردى (ص٢٤٧ ـــ ٩) وانظر عمدة الطالب (ص٢٠٨) ولكنه نسب السعاية الى محمد بن اسماعيل أخى على بن اسماعيل

(٢) كشف الغمة (ص ٢٧٠) وبراجع كتاب صحيفة الابرار « ج ٢ ـ ص ٣٩٦ »

(١) الصدوق لقب ابن بابويه ابي جعفر محمد بن على القمى ، وله ترجمة فى دائرة المعارف الاسلامية باسم « ابن بابويه »

حول «الوضوح والغموض»

عقد الاستاذ عباس فضلي فصلا طويلا تحت هـذا العنوان ، تكلم فيه عن غموض الشعر وأسبابه وقيمته ، وانتهى فى حزم الى أننا يجب أن نرفض كل شعر غامض لأن الغموض والجمال لا يجتمعان فى صعيد واحد ، ويظهر أن الاستاذ إنما يريد هذا النوع من الغموض ، الذى يتجلل من حنادس الليل بحجب واستار ، فاذا أعملنا فيه عقولنا وأجهدناها ما وسعنا الأعمال والاجهاد ، لم نتبين شيئا غير الظلام الموحش ، والحلوكة الدامسة ، وليس هـذا هو الغموض الفنى أو الشعرى الذى يجعله الدكتور طه حسين سببا من أسباب جمال الشعر ، وإنما يريد الدكتور — فيما أفهم — غموضا آخر جميلا ، لا تنفر منه النفس ولا تستوحش ، وانما تقبل عليه ، وتهش له ، وتجد فيه لذة ومتاعا كبيراً ، وهو أشبه ما يكون بالظلال لا تحجب النور ولكن ترسله بقدر ، ومهما كثر هـذا الغموض وفاض فلن يحول بيننا وبين التأثر الجميل بالقطعة الشعرية وما يغمرها من سحر وأبداع ، بل ربمـا كان هو مثار أعجابنا وتقديرنا ، ومبعث سرورنا وغبطتنا ، هو غموض حقا ، ولكنه غموض ذو بهجة ، تقر به النفس ، ويسر به الذهن ، وما أشبه بهذه السدول الرقيقة التى يرخيها الضباب على الطبيعة ، فلا يزيدها إلا سحراً وجمالا ، ولا يزيدنا إلا اعجابا واستحسانا .

وهذا الغموض الشعرى له أسباب مختلفة ، ولعل كثيراً منها يرجع الى فقر اللغـة وقصورها فى الافصاح عن عواطف الشعراء النفسـية ، وميولهم ، ورغباتهم ، فكثيرا ما تعجز اللغة عن اداء المعانى التى تضطرب فى صدورهم ، وحتى هـذه الألفاظ التى ظفرت بالأفصاح عن بعض هذه المعانى ، لم توفق فى القيام بمهمتها الشاقة توفيقا كبيرا ، وذلك لأن المعانى تفصح عنها لا تخضع لشىء خاص محدود يعرفه الجميع ، فالمعانى ليست مادية محسوسة ، وإنما الالفاظ هى المحدودة بحروف معدودة وفراغ مخصوص ، ومما يزيد الموضوع خطرا ، ان كل كلمة من هذه الكلمات التى يستعملها الشعراء تعبر عند كل واحد منهم عن حالة مخصوصة لا يشركه معه فيها أحـد مشاركة تامة ، وما هذه الكلمات الا حيل وتدابير يستعملونها للافصاح عن هذه المعانى التى تزفر بها نفوسهم ، ولاشك فى ان بها كثير من التسامح ، كما ان بها كثيرا من الابهام والغموض ، ويخطىء كثيرا من النقاد فيظنون أن لا خلاف بين الحياتين العقلية والنفسية ، والواقع ان هناك اختلافا كثيرا ، فالحياة العقلية قد درست واستطاع العلماء ان يعرفوا مقدماتها وطرق استدلالها ، فكان علم المنطق ، أما الحياة النفسية فلا تزال على أشد ماتكون أبهاما وغموضا ، ولهذا كان تحليل الحادثة الشعرية الى عناصرها ، من احساس ، وشعور ، وخيال ، وعاطفة منشأ غموض كثير ينتشر بين أجزاء القصيدة الواحدة ، ومن هنا كان الخلاف كثيرا مايقوم بين النقاد فى فهم القطع الشعرية المختلفة ، لانهم لا يعتمدون على مبدأ معروف للناقشة والمقارنة ، فهم لا يستنيرون بتحليل واضح سابق مشابه للحوادث الشعرية التى يتناقشون فيها ، وعلماء النفس أنفسهم يقولون أن الشعور مصدر الابهام ، فما بالنا بالحياة النفسية كلها وماتنطوى عليه من رغبات وعواطف ، وميول وشهوات ، لاسبيل الى حدها أوحصرها ، وإذا كانت هذه هى الحياة النفسية وهى على أشد ماتكون التواء وتعقدا أفلا نسمح لما يخرج منها ان يحمل شيئا من آثار أبهامها مادام جميلا نشغف به ، ونعجب بحسنه وجماله

والواقع أن الأمر لا يحتاج منا إلى أصدار حكم ليفارق الشعر الغموض ويقاطعه ، بل إن ذلك يرجع كما رأينا ألى الحياة النفسية ذاتها ، وسواء أرضينا أم غضبنا فسيستمر الغموض مسيطرا على الشعر حتى تتضح الحياة النفسية ، ولا سبيل إلى هذا الايضاح الآن وتاريخ الشعر يؤيد أن هذا الغموض لازم الشعر منذ نشأته الأولى ، فقد كان الأنسان ـ قبل أن يتحول محيط عواطفه إلى جليد تسطع عليه أشعة الأفكار والألفاظ ـ يعبر عن هذه الحياة الصاخبة فى نفسه بأصوات مبهمة ، ولما أخذت الأفكار والألفاظ تقوم بتجسيم هذا التعبير رأى الشاعر الأول أنها عاجزة عن القيام بمهمتها قياما تاما فأضاف اليها الوزن الشعرى علّه يكمل بنغماته المعنى الذى يريد الأفصاح عنه ، وللموسيقى الشعرية شأن كبير فى الشعر ، وذلك

جعفر بن يحيى قال له جعفر : بم يستحل أمير المؤمنين دمى ؟ فقال له مسرور : قال امير المؤمنين : بقتلك ابن عمه عبدالله بن الحسن ابن على بغير اذنه . فهذا دليل أصرح ما يكون على الندم والتوبة وبه تسقط آراء كثير من المؤرخين فى نكبة البرامكة ، وحسبنا بهذا أننا كشفنا غمة تاريخية بالأدلة الناطقة والبراهين الصادقة ، فاستقام بها مجرى من مجارى التاريخ كان متعرجاً ملتويا لا تطرد فيه الحوادث ولا تسترسل فيه الآراء

مصطفى جواد

لأنها إذا ارتقت إلى أسمى درجاتها، استطاعت أن تؤثر فى نفوس السامعين بدون حاجة الى فهم الافكار التى تحملها ، فلا يكادون يسمعونها حتى يجدوا لذة جميلة لايستطيعون أن يرجعوها إلى مصدر سوى هذه النغمات السحرية التى يبثها الشاعر فى آثاره الشعرية

وغموض الشعر لايأتى دائما من الشاعر وشعره بل كثيرا ما يأتى من القارىء وقراءته ، فالناس يختلفون فى فهم القصيدة بل فى فهم البيت الواحد ، ولا سبيل إلى كبح جماح هذا الخلاف ، لأنه يرجع إلى حوادث سيكولوجية ، فأن كل صورة فى الشعر أو فكرة فيه حين تنقلها من عالمها الخارجى الى عالمنا النفسى الداخلى تصادف مناطق من الشعور تختلف باختلاف القراء ، ولهذا ينتهى كل قارىء غالبا إلى صورة أو فكرة لايشترك معه فيها غيره ، ولكى يكون حكم القارىء للشعر صحيحا ، يجب أن يكون ماهرا فى اخراج نفسه من كل مايؤثر فيه ، بارعا ، فى فهم الحالات العقلية التى تلائم الموضوع الشعرى الذى يقرأ فيه ، كما يجب أن يتخلى عن كل النزعات فلا يؤثر شيئا لقدمه ، وبقائه ، ولا يحتقر شيئا لجدته وحداثته

والابهام كثيرا ما يأتى بما ترمز أليه الفكرة الشعرية ، لان الفكرة الفنية لا تلهم القارىء دائما برموز محدودة ، فمثلا أذا صور أنسان فتاة رامزا بها الى الأنوثة ولم يعرف الناس ماذا أراد ، رأيتهم يختلفون فيما بينهم اختلافا شديدا ، هذا يقول إنه يرمز إلى الجمال ، وذاك يقول إنه يرمز الى الدلال ، ويقول ثالث بل إلى الجلال ، وقلما يهتدون إلى الرمز الحقيقى الذى أراده الراسم لصورته ، وكذلك المناظر الطبيعية فهى لا تملى علينا فكرة محدودة ، وهذا هو الذى يجعلنا نقول إن الانسان يرى من الجمال فى المرة الثانية ما لم يره فى المرة الأولى ، أى أنها توحى ألينا بألوان مختلفة من الأفكار العذبة والصور الساحرة ، كلما نظرنا اليها وأمعنا فيها ، وليس الأمر كما يظن الأستاذ فضلى من أنه يرجع إلى أننا لانفهم الجمال مرة واحدة ، إذ الجمال ليس مسألة حسابية يعوزها الفهم ، ولا تمرينا هندسيا ينقصه البرهان ، وأنما هو معين لأفكار كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة ، ولن ينضب من هذه الأفكار الساحرة إلا إذا فنيت لا ـ قدر الله ـ حياتنا النفسية ، ويتبين جمال أطلاق الشعرية من قيود التحديد فى كثير من الآثار الشعرية ، كما نجد فى رواية هملت ، فان الناس يختلفون اختلافا كثيرا فى شخصية هملت نفسه ، ولا يكادون ينتهون الى رأى واحد معين ، ولكنهم مع ذلك يتفقون على أن هذه الرواية من أعظم اعمال شكسبير إن لم تكن أعظمها ، وربما كان يستحسن

ـ لهذا السبب ـ أن يعتمد الشعر على الايجاز حتى يصبغ أفكاره بشىء من الابهام والغموض يسمح لنا أن نستوحى منه أفكاراً مختلفة جميلة ، ولا يضع الايجاز من قيمة الشعر بل هو على العكس يرفع منه ويسمو به إلى الافق الأعلى ، وانما الذى يضع منه حقاً هو الاطناب الذى لا يزال بالفكرة حتى يظهرها عارية أمامنا ، فسرعان ما نبتذلها ونحتقرها

وإذن فالغموض الشعرى يجب أن نقدره التقدير اللائق به ، فلا نغالى فى ازدرائه وتحقيره ، يجب أن نعرف أنه من أهم أسباب جمال الشعر وحسنه ، ومن يدرى ؟ ربما كان من أهم أسباب خلود الشعر وبقائه ، فان الآثار الشعرية تشرق عليها الحياة فى العصور المختلفة ، بينما تبلى القطعة العلمية بمرور الزمن ، وتنطمس معالمها ، وأكبر ظنى أن هذا يرجع إلى وضوح القطع العلمية ، فالشىء الذى يتضح أمام الانسان لا يفكر فى ترديده وتكرار النظر فيه . وأى حاجة تستدعى ذلك ؟ . أما الآثار الشعرية فانها لا تتضح أمام الانسان جملة واحدة ، ولهذا نحن نقرأها مرة ومرتين وثلاثاً ، وقد نحفظها ونكررها ولا نحس بضجر ولا بملل ، بل نحن نجد فى ذلك لذة مغرية ومتعة طيبة

والغريب كل الغرابة أن الاستاذ فضلى يدعى ، أن كل بديع فى هذا الكون من منظر إلى صوت إلى شعر يلازمه الوضوح كيفما تكيف وتطور وتصور ، ثم ينتهى إلى أن ، الوضوح هو جوهر الجمال ، وما أعرف أن أحداً يستطيع أن يوافق الأستاذ على دعواه ، بل إن نقاد الفنون المختلفة يكادون يجمعون على أن الوضوح إذا عرض للآثار الفنية أفقدها كثيراً من روعتها وجمالها ، والدلالة على ذلك كثيرة فنحن نعجب بنور القمر أكثر من أعجابنا بنور الشمس ، وما هذا إلا لأن نوره أكثر ابهاما وأوفر غموضا ، وكذلك نحن نعجب بالمناظر الطبيعية تتراءى لنا فى ثياب أضواء الفجر الغامضة ، أكثر من اعجابنا بها وهى متبرجة فى أضواء الهاجرة ، ونحن أيضا لانطلب فى الموسيقى انكشافا ولا وضوحا فشاعرنا تهيج بالسماع فقط ، وليس من الضرورى أن نفهمها ، بل إن كثيرين يتأذون من فهمها ، ويقلقون من وضوحها ، والشعر لايخرج عن بقية الفنون الجميلة ، فهو كلما كان أكثر وضوحا ، كان أقل قيمة وأدنى درجة لأنه لاينطق حينئذ الا بظاهر من القول وضحل من التفكير ، نعم هناك مسألة مهمة يجب أن ياخذ الأدباء لأنفسهم الحذر من شرها ، وذلك ان كثيرا من شعرائنا أفسدوا أذواقنا فى حكمنا على الشعر فجعلونا نظن أن بين الجمال والوضوح

مدنية زائفـــة !

للدكتور عبد الوهاب عزام

قال صاحبي ، وأنا أسايره فى شارع الكورنيش ليلة من ليالى الصيف : « ما أجمل هذه المدينة ! انظر هذا المهيع الممهد مابين رأس التين والمنتزه مشرفا على لجة يمعن فيها البصر والفكر الى غير غاية . وانظر هذه الابنية الهائلة الشامخة تزحم السحاب بذراها ، وتقابل السماء بمثل نجومها ، وتنسج فى الامواج أشعتها ، وتأمل هذا العقد من المصابيح الكبيرة ، يطوق هذا الخليج الجميل. والسيارات تطوى الارض ذات اليمين وذات الشمال ، فيها المصطافون قد أخذوا من الحياة متعتها ، واهتبلوا من الايام فرصتها ، والحان الموسيقى تتدفق من هذه الأندية والمراقص فتموج فى الهواء ، حتى تختلط بأمواج الدأماء . وهذا البحر الزاخر من الناس ، والمحافل المزدحمة بشتى الأجناس يحوطها النظام ، ويهيمن عليها القانون والسلطان ، ويرقبها الشرط والعسس ، كل آخذ بحقه مأخوذ بعدوانه ، ياأخى لقد استبحر العمران ، وشمل الناس الأمان ، وامكنهم العيش السعيد ، واسلس لهم الزمان العصى ، وأطلعت لهم المدنية من النعيم ألوانا ، وأنبتت لهم من اللذات افنانا ـ ياأخى انها لمدنية . . .

ثم صمت صاحبي ، وتمادى بنا المسير حتى ملنا ذات الشمال الى محطة الرمل فمررنا بباب القنصلية الايطالية ، فرأيت بجانب الجدار شبحين ضئيلين فاقتربت أنعم النظر فيهما فاذا طفلان نائمان ، جلس أحدهما القرفصاء واعتمد بجانبه على الجدار ، وتمدد الآخر على الأرض عرضة لأقدام السابلة ، قلت : وارحمتاه ! طفلان شريدان ألجأهما الشقاء الى هذا الجدار ! ويعلم الله ما بهما من السغب والنصب وما لقيا فى يومهما وأمسهما ، وما يلقيان فى غدهما . قال صاحبي :

« لاتعجب فأمثال هذين كثير يعثر بهم السائر حيثما ذهب » فانقلب الأسى فى نفسى غضبا على صاحبى قلت : « أرأيتك مدينتك هذه العظيمة ، وطرقها المعبدة ، وقصورها الشاهقة ، ومصابيحها المتلألئة ، وسياراتها الخـــاطفة ، ومصطافيها الناعمين ، ومراقصها اللاهية ، وأنديتها الحافلة ! ! ـــ أرأيتك القـانون والسلطان ، والنظام والشرطة والعسس ، وهـذا العمران المستبحر ، والسعادة التى شملت الناس ، وألوان النعيم التى طلعت بها المدنية ، والعيش الخفض ، والزمان المواتى ، ومدنيتك الرائعة الفاتنة ! أليس فى هـذه المدينة العظيمة لهذين الطفلين سعة ؟ أليس فى هذا العمران لهذين الطفلين مأوى ؟ أليس فى هذه القوانين لهذين الطفلين حماية ؟ أليس فى هذا النظام لهذين الطفلين موضع ؟ أليس فى هذه المدنية لهذين الطفلين لون واحد من الحياة ؟ أليس فى هذه القلوب لهـــذين الطفلين مرحمة ـــ يا صاحبى ! حسبك حسبك ! لا تحدثنى عن المدنية ونعيمها ، لا تخدعنى بالمدنية وقوانينها !

إنها لمدنية زائفة !

عبد الوهاب عزام

علاقة وثيقة ، لأننا نجدهم يحسون بالضوء أكثر من أحساسهم باللون أو أى شىء آخر ، فاذا وصفوا لنا روضا لم يشاءوا أن يصفوه الا والسماء مصحية ، وقرص الشمس يلتهب التهابا ، وقلما تحدثوا بشىء عن هذا الروض إذا تنفس الصبح أو بزغ القمر ، ولو تدبر شعراؤنا لعرفوا أن الجمال لا يبدو عاريا مكشوفا أمام العيون ، وانما يتخذ دائما سرابيل تقيه شر الوضوح والابتذال سواء فى الطبيعة ، أو فى الشعر ، أو فى اى شىء آخر ؟

شوقى ضيف

بكلية الآداب

عام جـــديد !

بين عام مضـــى وعام آتى
موقف للمنى وللذكـــريات
يهتف الشيـــخ بالقديم وداعاً
ويحيي الجديد فى السنـــوات
ويرى الكهل فى الشباب مراحا
حفلا بالجمال والصـــبوات
لم يزل طيره عـــلى الفنن المنـ
ضور يدعـــو الى متاع الحياة
ويغنى الشباب بالامل المعســـو
ل دنيا خـــلابة البسمات
أيها العام ماحســـابك ايا
مٌ تقضت فى يقـــظة وسبات
رب يوم يمر فى البؤس عـــاما
وسنين تمر كاللمحـــات
أيها العام كـــن على مصر خيرا
طـــال عهد الشقاء والازمات
فانشر النور والسلام على الوا
دى وأطلق سواحر النغـــمات

يس عبد الله

الشافعي واضع علم أصول الفقه

للاستاذ الشيخ مصطفى عبدالرازق
أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

— ٥ —

ا ـ الدراسات الفقهية الى عهد الشافعي . ب ـ أهل الرأي وأهل الحديث
ج ـ الشافعي بين أهل الرأي وأهل الحديث وآثاره وكتبه
د ـ وضع الشافعي علم أصول الفقه

وفي صدر العهد العباسي تمكن الاستنباط واستقرت أصوله وجعل لفظ « الفقه » ينتهي بالتدريج الى أن يكون غير مقصور على المعنى الأصلي أي الاستنباط من الادلة التي ليست نصوصاً وأصبح المعنى الاول للفقه هو : « الأحكام الشرعية العملية المأخوذة من أدلتها التفصيلية » نصوصا كانت او رأياً وسمي أهل هذا الشأن بالفقهاء . ونشأ التأليف في الفقه بهذا المعنى وانقسم الفقه الى طريقتين طريقة أهل الرأي والقياس ، وهم أهل العراق ، وطريقة أهل الحديث وهم : أهل الحجاز

ب ـ أهل الرأي وأهل الحديث

ومقدم جماعة أهل الرأي الذي استقر المذهب فيه وفي أصحابه هو : « أبو حنيفة » المعتبر أبا لمذهب أهل العراق ، أسسه وأعانه على تأسيسه تلميذاه الجليلان : « أبو يوسف » القاضي المتوفى سنة ١٨٢ هـ ـ ٧٩٧ م و « محمد بن الحسن » الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ هـ ـ ٨٠٤ م

ولئن كان حماد بن سليمان الكوفي المتوفى سنة ١٢٠ هـ ـ ٧٣٧ و ٧٣٨ م هو أول من جمع حوله طائفة من التلاميذ يعلمهم الفقه . مع ميل غالب للرأي . وكان « أبو حنيفة » من هؤلاء التلاميذ فان حماداً لم يترك أثراً علميا مكتوبا . أما أبو حنيفة فيقول صاحب « الفهرست » ; وله من الكتب « كتاب الفقه الاكبر ـ كتاب رسالته الى اليسبقى ـ كتاب العالم والمتعلم ـ رواه عنه مقاتل ـ كتاب الرد على القدرية ـ والعالم براً وبحراً ، شرقا وغربا ، بعداً وقرباً ، تدوينه رضي الله عنه) ص ٢٠٢

ويذكر الموفق بين أحمد المكي الحنفي في كتابه « مناقب الامام الأعظم » أثر أبي حنيفة في الفقه بقوله ج ١ ص ١٣٦ ، ١٣٧ : « وابو حنيفة أول من دون علم هذه الشريعة ، لم يسبقه أحد ممن قبله لأن الصحابة والتابعين لم يضعوا في علم الشريعة أبوابا مبوبة ولا كتبا مرتبة أنما كانوا يعتمدون على قوة فهمهم وجعلوا قلوبهم صناديق علمهم فنشأ ابو حنيفة بعدهم فرأى العلم منتشرا فخاف عليه الخلف السوء أن يضيعوه ولهذا قال ـ صلعم ـ : ان الله تعالى لايقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وانما ينتزعه بموت العلماء فيبقى رؤساء جهال فيفتون بغير علم فيضلون ويضلون فلذلك دونه ابو حنيفة فجعله أبوابا مبوبة وكتبا مرتبة . فبدأ بالطهارة ثم بالصلاة ثم بسائر العبادات على الولاء ثم بالمعاملات ثم ختم بكتاب المواريث

وانما ابتدأ بالطهارة ثم بالصلاة لأن المكلف بعد صحة الاعتقاد أول مايخاطب بالصلوات لأنها اخص العبادات واعم وجوبا ، وآخر المعاملات لأن الاصل عدمها وبراءة الذمة منها وختمه بالوصايا والمواريث لأنها آخر أحوال الانسان فما احسن ماابتدأ به وختم وما احذقه وأفهم وأفقه وأمهر وأعلم وأبصر

ثم جاء الائمة من بعده فاقتبسوا من علمه واقتدوا به وفرعوا كتبهم على كتبه ، ولهذا روينا بأسناد حسن عن الشافعي ـ رح ـ انه قال في حديث طويل : « العلماء عيال على أبي حنيفة في الفقه »

وروى عن ابن سريج ـ رح ـ انه « سمع رجلا يتكلم في ابي حنيفة فقال له ياهذا مه ، فان ثلاثة ارباع العلم مسلمة له بالاجماع والرابع لانسلمه لهم ،

قال : وكيف ذلك ؟ قال : لان العلم سؤال وجواب ، وهو أول من وضع الاسئلة فهذا نصف العلم ، ثم أجاب عنها فقال بعض: أصاب ، وبعض: أخطأ ، فاذا جعلنا صوابه بخطئه صار له نصف النصف الثاني والربع الرابع ينازعهم فيه ولا يسلم لهم . . ولأنه ـ رح ـ أول من وضع كتابا في الفرائض واول من وضع كتابا في الشروط . والشروط لايستطيع ان يضعها الا من تناهى في العلم وعرف مذاهب العلماء ومقالاتهم لأن الشروط تتفرع على جميع كتب الفقه ويتحرز بها من كل المذاهب لئلا ينقضها حاكم بنقض او فسخ ... وقد قيل بلغت مسائل أبي حنيفة خمسمائة الف مسألة وكتبه ، وكتب أصحابه تدل على ذلك ،

وجملة القول : أن مذهب أهل الرأي هو الذي رتب أبواب الفقه ، وأكثر من جمع مسائله في الابواب المختلفة وكان الحديث قليلا في العراق فاستكثروا من القياس ومهروا فيه فلذلك قيل : « أهل الرأي »

وانما كان أهل الحجاز أكثر رواية للحديث من أهل العراق لأن المدينة دار الهجرة ، ومأوى الصحابة ومن انتقل منهم الى

العراق كان شغلهم بالجهاد وغيره من شؤون الدولة أكثر .

ومذهب أهل العراق كان يقصد الى جعل الفقه وافيا بحاجة الدولة التشريعية فكان همه : أن يجعل الفقه فصولا مرتبة يسهل الرجوع اليها عند القضاء والاستفتاء ، وكان همه أن يكثر التفاريع حتى تقوم بما يعرض ويتجدد من الحوادث . لا جرم كان مذهب أهل الرأى مذهب القضاء ، وكان أئمته قضاة كأبى يوسف ، ومحمد . وكان أهل الحـــديث يعيبون أهل الرأى بكثرة مسائلهم وقلة روايتهم

وسئل رقبة بن مصقلة عن أبى حنيفة فقال : « هو أعلم الناس بما لم يكن ، وأجهلهم بما قد كان ، وقد روى هذا القول عن حفص ابن غياث فى أبى حنيفة : يريد أنه لم يكن له علم بآثار من مضى » عن كتاب مختصر جامع بيان العلم

ويروى ابن عبدالبر فى كتاب « الانتقاء » ص١٤٧ (عن الحكم ابن واقد قال : رأيت أبا حنيفة يفتى من أول النهار الى أن يعلو النهار ، فلما خف عنه الناس دنوت منه فقلت : يا أباحنيفة لو أن أبا بكر وعمر فى مجلسنا هذا ثم ورد عليهما ماورد عليك من هذه المسائل المشكلة لكفا عن بعض الجواب ووقفا عنه . فنظر اليه وقال : أمحموم أنت ؟ يعنى مبرسما)

أما أهل الحديث ـــ أهل الحجاز ـــ فامامهم « مالك بن أنس » وكانت طريقة اهل الحجاز فى الأسانيد أعلى من سواهم وامتن فى الصحة لاشتدادهم فى شروط النقل من العدالة والضبط ، وتجافيهم عن قبول « المجهول الحال » ، فى ذلك

وكتب (مالك) كتاب (الموطأ) أودعه أصول الأحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه على أبواب الفقه

وفى كتاب (تبييض الصحيفة) : أن (مالكا) فى ترتيبه للموطأ متابع لأبى حنيفة ، ومن اليسير اثبات ذلك ، فان أبا حنيفة ومالكا كانا متعاصرين ، وان تأخر الأجل بمالك وأقدم ماحفظ من المجاميع الفقهية المؤلفة فى عصور الفقه الأولى بين السنين هو (موطأ مالك)

ويقول صاحب الفهرست فى سرد كتب مالك : .. وله من الكتب : كتاب « الموطأ » ـ كتاب رسالته الى الرشيد ـ ص١٩٩

وكانت وجهة اهل الحجاز كوجهة أهل العراق تدوين الأحكام الشرعية مبوبة مرتبة ، إلا أن اعتماد أهل الحديث على السنة أكثر من اعتمادهم على الرأى ، بل هم كانوا يعتبرون الرأى ضرورة لايلجأون اليها إلا على كره وعلى غير اطمئنان

وقد روى عن مالك : انه قال فى بعض ماكان ينزل فيسأل عنه فيجتهد فيه رأيه : « ان نظن إلا ظنا ومانحن بمستيقنين » مختصر جامع بيان العلم ص ١٩٢

وكان أهل الحديث يكرهون ان يتكاثر الناس بالمسائل كما يتكاثر أهل الدرهم بالدراهم ، وكانوا يكرهون السؤال عما لم يكن ، قالوا : ألا ترى أنهم كانوا يكرهون الجواب فى مسائل الاحكام مالم تنزل ، فكيف بوضع الاستحسان والظن والتكلف وتسطير ذلك واتخاذه دينا !

وفى « الانتقاء » : قال « الهيثم بن جميل » : «شهدت مالك ابن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال فى اثنتين وثلاثين منها : « لا أدرى »

ولم يكن أهل الحديث مع ذلك ينكرون اجتهاد الرأى والقياس على الاصول فى النازلة تنزل عند عدم النصوص)

حـ - الشافعى بين أهل الرأى وأهل الحديث

ظهر الشافعى والامر على ما وصفنا من نهضة الدراسة الفقهية فى بلاد الاسلام نهضة ترمى الى الوفاء بالحاجة العملية فى دولة تريد أن تجعل أحكام الشرع دستوراً لها

ومن انقسام الفقهاء الى أهل رأى يعتمدون فى نهضتهم على سرعة افهامهم ونفاذ عقولهم وقوتهم فى الجدل . وأهل حديث يعتمدون على السنن والآثار ولا يأخذون من الرأى الا بما تدعو اليه الضرورة

كان أهل الرأى يعيبون أصحاب الحديث بالأكثار من الروايات الذى هو مظنة لقلة التدبر والتفهم (حكى عن أبى يوسف قال : سألنى الأعمش عن مسألة وأنا وهو لاغير ، فأجبته ، فقال لى : من أين قلت هذا يايعقوب ؟ فقلت : بالحديث الذى حدثتنى أنت . فقال يايعقوب أنى لأحفظ هذا الحديث من قبل أن يجتمع أبواك ماعرفت تأويله الى الآن . مختصر جامع بيان العلم ص ١٨٢

فأصحاب الحديث كانوا حافظين لأخبار رسول الله ، الا أنهم كانوا عاجزين عن النظر والجدل ، وكلما أورد عليهم أحد من أصحاب الرأى سؤالا أو اشكالا بقوا فى ايديهم متحيرين . الرازى ص ٣٨

هم ضعاف فى الاستنباط وفى القدرة على دفع المطاعن والشبهات عن الحديث

(يتبع)

صفى الدين الحلى

٦٧٧ — ٧٥٠ هـ

(شاعر أتى بما أخجل زهر النجوم فى السماء ، كما قد أزرى بزهر الربيع فى الارض)

هكذا يصف (ابن شاكر) صاحب فوات الوفيات بلبل الحلة وحماة والقاهرة : صفى الدين . وكأنه إذ يفاخر به الطبيعة فى جمال أرضها وسمائها على ماحوى ذلك الجمال من نور وشذا وألوان وسحر ، يريد أن يسجل لنا باعترافه دليلا دامغا على أولئك الذين يزعمون أن الأدب العربى قد أخذته الصيحة يوم حطم التتار عرش المستعصم فى بغداد !

نعم هناك أناس يعتقدون أن الأدب العربى بعد سقوط بغداد قد أجدبت أرضه وهوت نجومه ، فأصبح لا ينتج إلا دنىء النبات ، ولا يستضىء إلا بخافت الذبالة ، وأنه قد ضل عن منابع الوحى فانزوى تحت قبة ذلك العصر المظلم المغمور الذى يسمونه عصر المغول والأتراك أو عصر الدول المتتابعة ، ولكن هذا الزعم مبنى على نظرية مخطئة ذاعت فى مبدأ دراسة الأدب ، ثم أخذت معاول الآراء الحديثة تهدمها من كل جانب ، وهى التى كانوا يعبرون عنها بقولهم الأدب ظل السياسة ، فحيثما ولت السياسة وجهها تبعها خيالها ، وكلما ألم بها سقم تقاسمته مع خدينها ، ولهذا جعلوا عصور الأدب من حيث القوة والضعف مطابقة التقسيم لعصور السياسة ، كأن الأدب شخص قابع تحت عرش الملك يحين أجله إذا انقض عليه العرش فهشم أضلاعه !

لم يمت الأدب بعد أن ماتت بغداد ، وانما ألجأته السياسة فقط إلى الفرار من مجال الفوضى والوهن ، فهام على وجهه قليلا ، ثم ألقى العصا فى معاقل حصينة يستطيع فيها أن ينصب رايته وينشر بساطه بعد ذلك اللغب والاعياء . كانت هذه المعاقل منبثة فى الأقطار العربية ولكنها ترجع جميعا إلى ثلاثة مراكز قوية : مصر كما تمثلها القاهرة ، والشام كما تمثلها حماة ، وجزيرة العراق كما تمثلها ماردين . وبين هذه المراكز ظل الأدب العربى يتنقل طليقا حيا معلنا عن نفسه بأفذاذ نوابغ لا يقل بعضهم عن أعلام العصر العباسى فى ريعان شبابه ، ومن هؤلاء ابن نباتة المصرى وصلاح الدين الصفدى ، وابن حجة الحموى ، وعلاء الدين بن الأثير ، وصفى الدين الحلى الذى نتكلم اليوم عنه من حيث هو شاعر .

*
* *

نشأ صفى الدين بالحلة من مدن العراق مهد الوحى الشعرى الغامر شاعرا بفطرته : يحب الشعر ويطرب لما فيه من موسيقى وانسجام ، فأكب على حفظ كثير من مقطوعاته وهو لم يزل بعد غلاما غض الاهاب ، وأخذ ينظم من أمثالها ما توحيه خواطره وميوله فى غير تصنع أو كلفة كما يقول هو عن نفسه « كنت قبل أن أشب عن الطوق ، وأعلم ما دواعى الشوق ، بهجا بالشعر نظما وحفظا ، متقنا علومه معنى ولفظا ، وامقا بسبك القريض ، كارها للكسب بالتقريض » فكانت هذه الفطرة أول عامل فى إيجاد تلك القوة الشعرية النابغة ، وأكبر مؤثر فى توجيه نفسه بعد إلى التغنى بالعواطف الصادقة الطبيعية المتصلة بأعماق النفس ورغبات الحياة . ثم اجتمع له عامل آخر شحذ هذه الفطرة وعاونها على السير فى اتجاهها وهو ولادته من أسرة راقية ذات قدم فى المجد نفخت فيه من روح العظمة لخنلته يهتف بمآثرها ويغرد بمفاخرها ، وربته كما ينشأ ولد النبلاء آخذا بقسط وافر من الثقافة العربية السائدة فى ذلك الوقت ، أو بالأحرى من الثقافة العباسية ، لأن تراث الفكر العباسى كان لا يزال هو المثل الرفيع الذى يحتذيه كل من أراد أن يرتوى من مناهل العلم والأدب بالرغم مما أصابه من القضاء السياسى . وإلى هذين العاملين كان هناك سبب ثالث ساعد كثيرا فى بناء ذلك الصرح الشعرى الباذخ وهو ما ألجأته الحياة إليه من التنقل بين عواصم البلاد العربية : فقد فارق الحلة وهى مسقط رأسه حول عام سبعمائة من الهجرة إلى «ماردين» أكبر قلاع الجزيرة حيث نزل على صاحبها الملك المنصور نجم الدين غازى ثم ابنه الملك الصالح ، وهما من أمراء البيت الأرتقى الخاضع لسيادة مصر فى عهد السلاطين ، ورحل بعد ذلك حول عام ٧٢٧ إلى مصر نفسها فنزل بالملك الناصر قلاوون ، ثم عاد إلى حماة بالشام فاتصل بالسلطان المؤيد عماد الدين الايوبى وهو المؤرخ الشهير بأبى الفداء وابنه الافضل ، وقد كانا واليين من قبل سلطان مصر أيضا ، وذهب إلى الحجاز مرارا لاداء فريضة الحج والزيارة ، فكان لهذه الرحلات آثار قوية فى إحياء شعره واستغلال قريحته وفى تنمية ثقافته ومقدرته الادبية . واذا كان الرجل قد اجتمع له نقاء الفطرة ورقى الاسرة وملاءمة البيئة فماذا تنتظر منه إلا أن يكون شاعرا فحلا يرفع منار الادب ويحتل له من الخلود مكانا ؟ !

هكذا كانت دواعى الشعر مهيأة لصفى الدين ، فأخذ يصعد إلى قمته حتى أشرف على الغاية وصار أمير الشعر بلا منازع فى أقطار الشرق ما عدا مصر التى كانت معتزة إذ ذاك بأميرها الذى لا يبارى وهو : «ابن نباتة » ، ولما كان العصر الذى نشأ فيه الحلى هو الوارث لآثار الفكر العباسى بالعراق ، وثمرات العصر الأيوبى بمصر ، فقد ظهرت طوابع هذين العهدين فى شعره ، واصبح مرآة حاكية لصورتيهما ، ونستطيع على ضوء هذا الحكم أن نعرف الخصائص التى تميز بها شعره من ناحية الاسلوب وناحية المعانى .

أما أسلوبه فقد كان على نمط كبار الشعراء العباسيين فى العصر الثانى متين الديباجة شديد الأسر مصوغا من الألفاظ القوية الرنانة المألوفة التداول ، إذ كان يوجه كثيرا من عنايته إلى الناحية اللفظية ، ويأبى إلا أن يعارض المتنبى والطغرائى والحمدانى وأضرابهم من الفحول ، فلا يقصر خطوه عن مداهم ولا يقع دون علاهم . وقد احتذى مع ذلك طريقة القاضى الفاضل التى نشرها بمصر وسرت منها إلى الأدب العربى جميعه ، فملأ شعره بالطباق والجناس والتورية والاقتباس وغيرها من أنواع الصناعة البديعية حتى كاد أسلوبه يعد مثلا كاملا لهذه الطريقة ، وأوشك كل محسن بديعى على كثرة فروع هذه الأنواع أن يأخذ حظه من شعره .

ومن الحق أن نقرر أن هذه الظاهرة كانت تعد فى ذلك العصر من الأمثلة العليا للشعر ، بحيث تقاس منزلة الشاعر بقدرته على تطبيقها واستخدامها فى كلامه وخلق المناسبات لها كلما استطاع ، كما يتضح لنا ذلك من كتب النقد التى ألفت حينذاك ، كخزانة الأدب لابن حجة الحموى ، والوافى للصفدى وغيرهما ، ولهذا لا يجوز لنا أن ننظر إلى تلك الصناعة نظرة فتور أو سخط ، بل على العكس ينبغى أن نحكم على كل شاعر بروح عصره ونقيسه بمقياس زمانه لئلا نصدم القديم بالجديد ، ونخلط الماضى بالحاضر . وعلى هذه القاعدة يمكننا أن نحكم لصفى الدين بأنه شاعر قدير مفتن استطاع أن يتلاعب بالالفاظ فى مجال البديع بمهارة يفوق بها كثيرا من نابهى الشعراء الذين عاصروه أو سبقوه ، بل إن الباحث العصرى قد لا يملك نفسه أحيانا من الأعجاب بهذه الصناعة التى ينعى عليها لما يبدو له من لطف التقابل والتطابق واللمح والايماء فى معان منسجمة وخيال منتظم . وإذا شئت فانظر إلى قوله :

وما ذاك إلا أن يوم وداعنا وقد غفلت عين القريب على رغم
ضممت ضنى جسمى الى ضعف خصرها لجنسية كانت له علة الضم

ربيبة خدر يجرح اللحظ خدها ... فوجنتها تدمى وألحاظها تدمى
اذا ابتسمت والفاحم الجعد مسبل ... تضل وتهدى من ظلام ومن ظلم
تغزلت فيها بالغزال فأعرضت ... وقالت لعمرى هذه غاية الذم
وكم قد بذلت النفس أطلب وصلها ... وخاطرت فيها بالنفيس على علم
فلم تلد الدنيا لنا غير ليلة ... نعمت بها ثم استمرت على العقم !

وقد بلغ من قدرته وتجليته فى هذه الحلبة أنه ألف قصيدة طويلة عدتها مائة وخمسون بيتا تشتمل على مثل هذا العدد من أنواع البديع المختلفة كأنها كتاب علمى وضع لضبط هذا الفن بالقاعدة والمثال ، ومع ذلك فهى قطعة أدبية قيمة تجمع بين الغزل الرقيق والمدح الرائع والاستعطاف والوصف فى سياق مخاطبة الرسول (ص) الذى يتوسل اليه الشاعر بعد مرض عضال شفاه الله منه ! ومن أبياتها هذه الامثلة الأربعة التى جمع فيها أنواع التوشيح والمقابلة واللف والنشر والتذييل والالتفات :

هم أرضعونى ثدى الوصل حافلة ... فكيف يحسن منها حال منفطم ؟
كان الرضا بدنوى من خواطرهم ... فصار سخطى لبعدى عن جوارهم
وجدى حنينى أنينى فكرتى ولهى ... منهم إليهم عليهم فيهم بهم
لله لذة عيش بالحبيب مضت ... فلم تدم لى وغير الله لم يدم !

ومع أن صفى الدين عارض كثيراً من الشعراء فى العصرين الجاهلى والأموى ، وشاهد كثيرا من مظاهر حياتهم فى البادية أثناء رحلاته الطويلة ، فاننا لم نره يتناول الاوصاف الجاهلية الغريبة أو يختار غير الشائع فى عصره من الألفاظ السهلة الجارية على الالسن الفصيحة ، متأثرا فى ذلك شعراء العصر الايوبى فى مصر وان كان لم ينزل معهم الى الذوق الشعبى العام : فكأنه وقف وسطا بين الاسلوب القديم الغامض ، والأسلوب الحديث الواضح ، ومن أجل موقفه هذا رماه أحد النقاد فى عصره بسهم حاد إذ عاب عليه ضعف شعره من الوجهة اللغوية وقلة استخدامه للألفاظ الغريبة ، فأخذ يرد عليه بهذا البيان القوى الحاسم :

إنما الحيزبون والدردبيس ... والطخا والنقاخ والعلطبيس
والحراجيج والشقحطب والصعـ ... قب والعنقفير والعنتريس
لغـة تنفر المسامع منها ... حين تروى وتشمئز النفوس
وقبيح أن يذكر النافر الوحـ ... شى منها ويترك المـأنوس
أين قولى : هذا كثيب قديم ... ومقالى : عقنقل قد موس ؟
لم نجد شاديا يغنى : « قفا نبـ ... ك » على العود إذ تدار الكؤوس
لا ولا من شدا « أقيموا بنى أمـ ... ى » ، إذا ما أديرت الخندريس
خلى للأصمعى جوب الفيافى ... فى نشاف تخف منه الرءوس
إنما هذه القلوب حديد ... ولذيذ الألفاظ مغناطيس

فهذه دعاية ثائرة للتجديد تدل على أن شاعرنا لم يكن يحب التقليد الأعمى للأقدمين ، وانما يرى من الواجب أن تتحول اللغة إلى أشكال شتى بحسب ما يقتضيه العصر ما دامت محافظة على قواعدها الأساسية ، وقد ذكرنا أن هذه الدعوة ليست إلا صدى لمذهب الشعر المصرى سرى فى بلاد الشرق العربى حين كان منضويا تحت لواء مصر السياسى والاجتماعى فى عهد الأيوبيين والسلاطين .

(يتبع)

ضياء الريس

مِنْ طرائفِ الشِّعرْ

وصف القلب

وهي قطعة من عبقريات الوصف وروائعه

للعالم الشاعر الاستاذ احمد الزين

من لقلب بين الجوانح عاني — يجمع اليأس والمنى في مكان
شاعر في الضلوع يخفق بالمعـ — ـنى فيعيا عنه بيان اللسان
كم خيال له يضيق به اللفـ — ـظ فيسمو إليـه بالخفقان
وأمانيّ فيه كالزهر منها — ماذوى والقليل في ريعان
فهو راث لما ذوى من أمانيـ — ـه ومستبشر بباقي الأماني
باكياً شجوه وآناً نراه — يتغنى بأعذب الألحان
فهو كالعود في يد الدهر يشدو — بالذي شاء دهره من أغاني
قطع العيش بين خوف وأمن — ورجاء ناء وآخر داني
فتراه حيناً يلج به الوجـ — ـد وحيناً يلوذ بالسلوان
وتراه يسيل كالماء لطفاً — وتراه كالنار في الثوران
صامت وهو لا يني عن حديث — مطمئن في ثورة البركان
بالسلطانه القوي ولا شيـ — ـء عليه في الأرض ذو سلطان
لا تلمني اذا تبعت هواه — هو بعضي وآخذ بعناني
كم حداني إلى هوى لم يدع — فيه أصغي لفكرتي وجناني
قادني للهوى ولو كان يدري — ما يلاقيه في الهوى لنهاني
لجّ فيه فكان شراً عليه — ليتني قد عصيته إذ عصاني
عصف الحب بالقلوب فقلب الـ
ليث في حربه كقلب الجبان
مضغة في الضلوع يؤلمها المس — غدت نهبة لصرف الزمان
فوق موج الآلام تذهب حيرى
كسفين تسري بلا ربان
فهي بين الاحزان تفنى ويحييـ — ـها خيال التعليل والنسيان
جل من صاغها ميولاً وأهوا — ء ولم يعد طينة الانسان
وبراها من الملائك نوراً — تتراءى في صورة الجثمان
فهي بين الضلوع لا تملأ الكف
وفيها صحيفة الاكوان

موعظة الغاب!

للأستاذ خليل هنداوي

رحت للغاب، على أتسلى — عن حظوظ ساءت بمرأى الغاب
هائم الروح في ضواحيه، ناس — حزني، حاسد طيور الروابي
تملأ الجو بالغناء، ونفسي — لحنها لحن شقوة واكتئاب
والازاهير ناشرات شذاها — في ربيع من الهوى والشباب

* * *

قلت يا روحي الكئيب تعزّي — واسترح يا فؤاد بعد العذاب
وانفعي يا غاب بعض شقائي — وأرح عانياً من الأتعاب

* * *

قال لي الغاب وهو يسخر مني — والصدى كان منه رجع جوابي:
« أنا اشكو الذي تشكيت منه — من قضاء يرمي بزرق الحراب »
« لا سلام كما تصورت عندي — كلنا في تنازع وغلاب »
« لا يغرنك ما ترى من سكون! — ضم هذا السكون كل اضطراب »
« ذاك معنى الحياة في كل صقع — من لحوم النعاج قوت الذئاب »
« لا تغرنك زهرة في ربوعي — تتسامى فوّاحة الاطياب »
« لا يغرنك طائر راح يشدو — في الروابي بلحنه المطراب »
« فارتقب اهل ترى يتم غناه؟ — وقضاء قاس له في ارتقاب »
« لو تأملت في ربوعي لأبصر — ت نضالاً في الطير والاعشاب »
« كم زهور راحت ضحايا زهور! — وعقاب فريسة لعقاب؟ »
« فصراع الحياة فوق التراب — وصراع الحياة تحت التراب »

* * *

قلت يا غاب! ما رأيتك تشكو — انت راض عن القضاء المرابي
قال هل تنفع الشكاة فاشكو — قدر لا يرى طريق الصواب!
فتعلم مثلي السكوت فاني — قاهر بالسكوت كل مصاب
أعطه ما يريد، فهو عنيـد — لا يداري، وفز ببعض الرغاب

* * *

عدت والهم عالق بفؤادي — عدت والغاب زاد في أوصابي
فبراني – اذا رأيت – صموتاً — فتخال الهناء ملء إهابي
غير أني واريت بالصمت همي — وبقلبي دفنت صمت الغاب

دير الزور — خليل هنداوي

البريد الأدبي

الحياة الأدبية

حفلة جائزة نوبل العالمية

يعلم القراء أن جائزة نوبل الأخيرة فى الأدب قضت بها لجنة التحكيم للروائى الروسى المهاجر إيفان بونين . وقد وقعنا فى البريد الاخير على وصف للحفلة التى أقيمت فى القصر الملكى السويدى لتسليم جوائز نوبل للفائزين .

ولما كنا نحب أن نسجل فى هذا الباب كل حدث أدبى كبير ، فنحن ننقلها تنويهاً بالأدب ، الروسى خاصة ، وبمكانة الأدب والادباء فى العالم المتحضر عامة ، وحضاً على رفع الفنون فوق كل اعتبار جنسى أو سياسى



ايفان بونين

أرسلت الدعوة الرسمية الى المدعوين قبل يوم الحفلة بأيام عدة ، وهى محررة على النحو الآتى :

« المرجو من حضرات الفائزين الحضور الى قاعة الحفلات الموسيقية يوم ١٠ ديسمبر سنة ١٩٣٣ فى الساعة الرابعة والدقيقة الخمسين على الاكثر لتسلم جائزة نوبل ، وسيشرف صاحب الجلالة تتبعه الاسرة الملكية وسائر الحاشية ، فى الساعة الخامسة تماماً لشهود الاحتفال ، ويسلم جلالته شخصياً الجوائز المذكورة الى كل من الفائزين . وفى الساعة المشار اليها توصد الابواب ويبدأ الاحتفال »

وأهل السويد شديدو المحافظة على المواعيد ؛ فلا يستحب عندهم التبكير عن الموعد المضروب ولا يجوز مطلقا التأخر عنه

فكان يرى الرائى فى الساعة الخامسة الا عشر دقائق رتلا ممتدا من السيارات وقوفا على مدخل قاعة الحفلات الموسيقية فى القصر الملكى باستكهلم . واذا بسيارة فخمة تقل إيفان بونين — وقد تفضل بأعارتها اياه أحد الاصدقاء ، تقف امام درك الباب الخارجى فى الدقيقة المحدودة . وكانت الجموع الحاشدة تزداد احتشادا حول القصر وما يجاوره ، وكانوا يعرفون الفائز بجائزة الادب اذ شهدوا صورته منذ اعلان فوزه مراراً فى جميع الصحف وفى زجاج المكاتب ، فحيوه وهتفوا له متحمسين ، وتنحوا مفسحين له الطريق فى احترام ومحبة . وارتقى إيفان بونين الدرك بنشاط ، وكان يضيئه سنا المشاعل الاحمر الخفاق . ثم أفضى من دهليز طويل الى غرفة صغيرة ملاصقة للمنصة التى تعزف عليها الموسيقى عادة فى القاعة الكبرى لحفلات البلاط .

وكان قد سبقه الى هذه الغرفة زملاؤه الفائزون هذا العام من العلماء الجهابذة وكلهم من الانفعال محتقن الوجه أو شاحبه ، وهم بالقياس اليه فى ريعان الشباب لايكاد يتجاوز اكبرهم الخامسة والثلاثين من عمره ، والى جانبهم إيفان بونين فى الثالثة والستين ، بشعره الاشيب ، ومعارف وجه الكهل الممطوطة النبيلة ، مما جعله أروع طلعة وأكثر هيبة

ولم تكد تنقضى دقائق معدودات حتى غصت القاعة ، وتوزع فى رحابها كالأشباح المتحركة ألفان من المدعوين هم أعلام العاصمة السويدية ، وذاك فى سكون ونظام لا تشوبهما شائبة ، وكانت بذلة السهرة محتمة بلا استثناء ، فالرجال فى الزى الرسمى والسيدات فى أبهى زينة

وكانت المنصة مغمورة بضياء ناعم لين ، مزدانة بازهار لاعداد لها سويدية الموطن وردية اللون ، تتخللها أزهار وأفنان غريبة المنابت مجلوبة . وفى الصدر ، لصق الحائط تقريباً ، يقوم تمثال نصفى للملك من الشبه يجلله العلم السويدى وأعلام الأمم التى ينتمى إليها الفائزون هذه السنة ، والظاهر أن حالة « بونين » الخاصة أثارت فى البداية بعض المشاغل ، ذلك أن الفائز الروسى خارج على البلاشفة وفى عداد من لا وطن لهم ، والسويد معترفة بالدولة السوفيتية . فما

العمل ؟ لو رفع العلم القيصرى القديم لترتبت عليه لا محالة تعقيدات سياسية ، كما أنه لا يمكن النظر فى رفع الراية الأخرى برمز المطرقة والمنجل . وأخيراً قرر القائمون على الاحتفال تخلصاً من هـــذه الورطة زيادة علم قومى يمثل صليبا أصفر فى ساحة زرقاء.

وقبل بدء الحفلة بدقائق قلائل احتل أعضاء المجمع السويدى الجانب الايمن من المنصة ، أما الجانب الايسر فكانت فيه أربعة مقاعد ضخمة ، خلت مؤقتا ، وهى مخصصة للفائزين الذين يتلهفون شوقا الى الظهور .

*

دقت الساعة خمساً ، ونفخت الابواق ، ودوى صوت من ركن من الاركان يتعذر تحديده :

ــ صاحب الجلالة الملك !

ودخل القاعة الملك جوستاف الخامس ، نحيف القامة ، رشيقا للغاية ، يعرفه الرياضيون فى الخافقين . وفى اثره جميع أفراد الاسرة المالكة ، والأمراء والأميرات قادمين من أطراف المملكة ، وكبار رجال البلاط . فوقف جميع الحاضرين كرجل واحد ، وانحنوا فى احترام عميق ، بينما كانت موسيقى غير منظورة تعزف النشيد القومى ويترنم معها الحاضرون أجمعون

حتى اذا جلس الملك استوى الجميع فى مجالسهم بخفة ولطف ، ثم مالبثوا ان قاموا بعد لحظة وقوفا ، وأصوات الابواق تعزف ، والسعداء الأربعة الفائزون يدخلون ، وكان ايفان بونين خاتمة الموكب والى جانبه السكرتير الدائم للمجمع السويدى . وبعد أن حيوا الملك ثم شهود الحفلة جميعا ، اخذوا اماكنهم

وهنا فى الحقيقة يبدأ الاحتفال

قام احد أعضاء المجمع ، وبنظرة منه ساد الحاضرين صمت مطلق ، وألقى خطابا يعدد فيه مناقب الفائزين من جهابذة العلوم الطبيعية . ودوت الابواق وملأت القاعة بانغامها الجليلة . ونزل أحد العلماء الشباب الجهابذة من المنصة الى القاعة ، ودنا من الملك . فصافحه الملك مصافحة قلبية قوية ، وعاد الفائز متأثراً ظاهر التأثر الى مكانه يحمل شهادة ، ونوطا منقوشا لتكريمه خاصة . وتعالى التصفيق عاصفا قاصفا . وتكرر هذا ثلاث مرات للعلماء الثلاثة . واخيرا جاء دور بونين

* * *

ولقد قضت التقاليد المرعية من سنوات عدة أن تعطى جائزة نوبل فى الأدب آخر الحفلة . فهى ختامها . وكذلك كان الحال هذا العام . فلما أن عاد الفائزون الثلاثة الأولون الى مقاعدهم على المنصة قام سكرتير المجمع ـ وهو الذى قدمه الى لجنة المحكمين ـ قام فى تؤدة ، وأصلح فى شىء من التعالم والتفيهق رداءه ، وتوسط المنصة ، وتلا بصوت خالجه الانفعال ، ثم أخذ يتمالك شيئا فشيئا قراره وجهارته ، خطابا باللغة السويدية عن القصصى الروسى ، منوها بما بينه وبين تولســـتوى من واشجة قرابة فنية ، مبينا بالتحديد الدقيق مكانته بين كبار المؤلفين الروس المشهود لهم . فلما أن فرغ من كلمته ترك لغته الاصلية ، والتفت الى ايفان بونين وخاطبه بالفرنسية قائلا :

ــ ايفان الكسيفيتش بونين ، تفضل بالنزول الى القاعة لتتسلم من يد صاحب الجلالة جائزة نوبل فى الأدب التى منحك إياها المجمع السويدى .

وكانت هـذه اللحظة بالبداهة أروع اللحظات فى الاحتفال وأشجاها تأثيرا . فقد قامت القاعة كلها على قدم واحدة من تلقاء نفسها . واجتاز ايفان بونين المنصة ، رافع الرأس ، ولكنه شاحب اللون من التأثر . وعزفت الموسيقى لحنا مطربا . وطفق الجمع يصفق تصفيق من فاض به شعوره وجن جنونه . وقبل أن يبلغ ايفان بونين الى موقفه بين يدى الملك تماما كان الملك قد وقف ، ومد اليه يده بأريحية عامرة بالمحبة ، فانحنى ايفان بونين انحناءة عميقة أمام المليك المعظم يسمع النطق الكريم :

ــ « أهنئك من كل قلبى ! وأنى لمبتهج معك بنجاح الادب الروسى » فأجاب الفائز وصوته لا يخلو من رجفة خفيفة :

ــ « ياصاحب الجلالة أرجو أن تتقبل منى أجل شعائر العرفان وأعمقها »

وعندئذ ناول الملك ايفان بونين الشهادة فى غلاف نفيس ، ونوطا من الذهب نقش عليه اسم المؤلف ثم صافحه مرة أخرى

هـذا والقاعة لاتنى عن التصفيق كأنما تساجل بحماسها الموسيقى وهى تعزف النشيد القومى .

ورفعت الجلسة ، ويمم الملك وحاشيته شطر الباب فى وسط التهليل والهتاف الحار . ولما أن برح الملك المكان انطلق الجميع معجلين بالخروج لانه لاتمضى ساعة واحدة حتى تبدأ حفلة العشاء الكبرى لجائزة نوبل فى حديقة الشتاء بالفندق الكبير

وقد اقيمت حفلة العشاء لثلاثمائة مدعو فى منتصف الساعة الثامنة تماما . فدخل ولى العهد الملكى جوستاف ادولف الى القاعة والى جانبه مدام ايفان بونين واتجه بها الى حيث أجلسها فى صدر

الوليمة فى وسط المنضدة الرئيسية . وعلى مقربة من ولى العهد جلس بونين صاحب الجائزة بين الاميرة اينجريد ، والامير اوجين من انجال الملك

والموسيقى تعزف اثناء ذلك أعذب الانغام

وبدأت الوليمة كالمعتاد بشرب نخب الملك ثم الهتاف له عاليا .

وبعد تناول العشاء الفاخر ، ألقى بونين بالفرنسية كلمة استغرقت عشر دقائق . وقد طالت الوليمة وامتد بها الوقت الى ساعة متأخرة من الليل . وفى صبيحة اليوم التالى فى تمام الساعة التاسعة توجه الكاتب الروسى الى لجنة نوبل وتسلم حوالة بمبلغ ١٧٠٣٣١ كورونا سويديا، أو بعبارة أخرى نحو ٨٠٠٠ جنيه وهى اكبر قيمة اصابها كاتب روسى على آثاره الادبية «صدق»

مسئولية القصص عن اشخاص قصته

هل يحتمل الكاتب القصصى مسئولية ما من جراء ماينسبه لاشخاص قصته من الاعمال والاقوال ؟ يحدث احيانا ان يتصور شخص ماانه لظروف ومشابهات خاصة هو المقصود بالتعريض والتجريح فى صورة بطل من ابطال القصة ، فهل يؤخذ الكاتب القصصى فى تلك الحالة بما كتب ؟ اجاب القضاء البلجيكى على ذلك بالايجاب فى قضية ادبية تثير اليوم فى الاوساط الادبية والمسرحية الفرنسية والبلجيكية اعظم الاهتمام

فقد ظهرت اخيرا للكاتب البلجيكى الكبير بير اوبرمون قصة عنوانها : « تشجع ياموتترشان ! » يصف فيها سير المعركة الانتخابية فى احدى نواحى الريف ، فلم يمض على ظهورها قليل حتى رفعت عليه قضية من خمسة اشخاص يقولون انهم عرفوا انفسهم فى أشخاص القصة وانهم هم المقصودون فيها بالتعريض والتجريح وطلبوا الحكم بالتعويض على الكاتب ، فقضت لهم محكمة « هنيو » عليه بتعويض قدره واحد وعشرون الف فرنك

وقد تناول الكاتب الفرنسى الكبير جورج دوهامل هذه المسألة فى مقال يحتج فيه على هذا المبدأ بقوة ويقول : « لعلنا نلزم غدا كما ألزم اوبرمون ان ندافع أمام ثورة المتهوسين والحمقى ، ثم أمام القضاء عن كتبنا ومخلوقاتنا ، وابناء عناتنا وتأملاتنا ، وربما أرغمنا على ان ننكر نفس مبادىء هذا الفن الذى تغذيه الحقيقة ،

« فليعلم قضاة بربان (بلجيكا) والعالم اجمع ان القصصى الحق لايصور فلانا او فلانه لكى يغضب افاضل الناس ، ولكنه يقصد ماهو ارفع ، فهو يقدم بذلك نصيبه فى تاريخ الرجل وتاريخ المرأة . فاذا صور فلانا فى صورة ما، أو نسب اليه قولا ما ، فانه يؤدى واجبه كشاهد، فلا تطلبوا اليه ان ينظم العالم اذا لم تسمحوا له ان يحكم على المناظر ، ولا تلوموه ان يرى بوضوح وان يسمع الحق ، فانما تؤاخذونه اذا رأى شيئا اوسمع شيئا ؛

« ان جميع القضايا المماثلة قد أعيد النظر فيها على يد الجيل اللاحق، وقد اعاد النظر فيها دائما وهو يبتسم»

جائزة جونكور

جائزة « جونكور » من اشهر الجوائز الادبية فى فرنسا لامن حيث قيمتها المادية ، فهى خمسة آلاف فرنك فقط (نحو ستين جنيها) ، ولكن من حيث قيمتها الادبية . وقد نالها عن سنة ١٩٣٣ ، الكاتب الفرنسى اندريه مارلو ، وهو كاتب شاب امتاز بروعة التصوير وقوة الاسلوب ؛ وله عدة مؤلفات معظمها فى تصوير الحياة الاسيوية التى درسها أثناء رحلاته فى فارس وتركستان والهند الصينية . منح له جائزة « جونكور » عن كتابه « حالة انسانية » Condtlion humaine ، فارتفع بذلك الى ذروة الشهرة ، واضحى عضوا فى « اكاديمية جونكور »

وقد انشأ هذه الجائزة الادبية الشهيرة ادمون لوى جونكور باسمه واسم أخيه الاصغر جول جونكور . وكان الاخوان من اعظم الشخصيات الادبية فى فرنسا ايام الامبراطورية . وكانت لهما مواهب بديعة فى الكتابة والخيال فاشتغلا معا بكتابة عدة روايات تاريخية اشتهرت بقوة خيالها ودقة تصويرها . وكانت لهما آراء ونظريات خاصة فى كتابة القصة ذاعت فى فرنسا فى اواخر القرن الماضى، وكان لها أثر عظيم فى توجيه التأليف القصصى فى هذا العصر، وولد ادمون سنة ١٨٢٢ واخوه جول سنة ١٨٣٠ . وتوفى جول سنة ١٨٧٠ ، ولكن ادمون عاش حتى سنة ١٨٩٦ ، وفيها وضع وصيته بأنشاء الجائزة الشهيرة ، تمنح فى ديسمبر من كل عام لأحسن مؤلف ادبى . وللاكاديمية جونكور التى تتألف من الكتاب الذين نالوا هذه الجائزة ، والذين يمنحونها للفائزين، مركز ادبى ممتاز فى فرنسا ، وقد رفعت الى سماء الشهرة عدة كتاب منهم دوديه ، واوكتاف ميرابو ، وبول مرجريت ، وجستاف جوفردى ، والاخوان روزنى وكثيرون غيرهم

ومنحت جائزة « فيمينا » وهي ايضا من اشهر الجوائز الادبية في فرنسا ، وقيمتها خمسة آلاف فرنك الى كاتبة هي مدام جرمين فوكونييه من اجل قصتها « كلود » claude . ومما يذكر ان هذه الجائزة لم تمنح لسيدة منذ خمسة أعوام

الشاعر الالماني شتيفان جورج

نعت أنباء المانيا الأخيرة الشاعر الألماني الكبير شتيفان جورج . وهو من أعظم كتاب المانيا وشعرائها المعاصرين ؛ ويعتبر في الشعر والنقد الأدبي من الطبقة الأولى . ولد في مدينة ريدزهايم سنة ١٨٦٨ . وأنشأ مجلة « صحف الفن » الشهيرة Die Blaelter fuer die Kunst وجمع حوله لفيفا من كتاب المانيا البارزين . وامتاز بقوة نقده وروعة شعره ؛ وانشأ مذهبا ادبيا خاصا شعاره التحرر من قيود الماضي ؛ وكان استاذه ومثله الأعلى في التفكير والأدب الفيلسوف نيتشه . وكان لجهوده وجهود زملائه وتلاميذه اثر عظيم في توجيه الادب الالماني قبل الحرب ، وله عدة دواوين شعرية شهيرة منها « سنة الروح » و « الاغاني » « أغاني الحلم والموت » « أيام الحرب وأعمالها » الخ .

المؤرخ الفرنسي كاميل جوليان

توفي في الثاني عشر من ديسمبر المؤرخ الفرنسي الكبير كاميل جوليان عضو الاكاديمية الفرنسية بعد مرض طويل . وقد ولد في مرسيليا سنة ١٨٥٩ ، وتخرج في مدرسة المعلمين الشهيرة (النورمال) حيث كان أستاذه المؤرخ الاشهر فوستل دي كولانج ؛ وهو الذي قدر مواهبه ووجهه نحو دراسة التاريخ . وبعد أن نال شهادة العالمية ، واجازة مدرسة رومة عين أستاذا للتاريخ في كلية الآداب بجامعة بوردو ، وتخصص في تاريخ جنوب فرنسا ودراسته ، وأخرج عنه عدة كتب ورسائل تعتبر أعظم حجة في موضوعها ، بيد أن أشهر جهوده وأعظمها هو كتاب « تاريخ غاله » Hist.de Gaule الذي أنفق في وضعه عشرين عاما . وهو من أمهات كتب التاريخ الفرنسي ، وانتخب عضوا في الاكاديمية الفرنسية منذ سنة ١٩٢٤ ، ونال عدة جوائز أدبية كبرى

ايفان بونين

صاحب جائزة نوبل في هذا العام

بقلم محمد أمين حسونه

لم يكن ايفان بونين بالكاتب المغمور اذاع صيته وأنبه ذكره في عالم الادب فوزه بجائزة نوبل ، بل هو من أقدم الادباء الروسيين المعاصرين ، وهو يمثل تلك العبقرية المثالية التي نعرفها في تولستوي وتورجنيف وديستويفسكي .

وقد تجلت هذه العبقرية في سمو تفكيره وفي نزعته العاتية بالحياة ، واذا كان مكسيم جوركي يتزعم اليوم الحركة الادبية في داخل روسيا ، فان ايفان بونين يتزعمها في خارجها ، تدل على ذلك مؤلفاته القصصية التي نقلت الى معظم اللغات الحية ، ومركزه الادبي الممتاز الذي يحسده عليه حتى مواطنوه .

ويعد بونين في طليعة كتاب القصة في العالم ، ويقوم فنه ـ كما يصفه جيروم تاردو ـ على الابتكار والافتتان في الصور التي بمخيلتنا ، وبالاصوات والكلمات التي تطرق آذاننا ، والاشادة بتلك العاطفة التي يبررها السرور المنبعث من القلب ، وحيث لا تتجاوز أهمية الخير والشر غيرهما مما يحدث في الحياة .

وقد جاء بونين بفكرة كانت تعد غريبة من قبل ، وهي أن الفنان يجب أن يكون إلها ، لا تحاسبه الا نفسه ، فحياة الفن تتجاذبها عوامل شتى ، يتحارب فيها الجميل والدميم ، وليس للفنان الا أن يسمو بفنه فوق هذه العوامل دون أن ينقاد الى احدى الطريقتين ، وعليه أن يجعل حياته سعيدة طافية .

وتكاد هذه الفكرة التي يدين بها بونين ، تبرز من خلال فنه الرائع الذي يبدو قويا في أشكال واضحة بديعة ، كما أنها خلاصة أفكاره التي يطالعنا بها في مولفاته الخالدة ، وقد كتب الجزء الأكبر من هذه المؤلفات بعيدا عن بلاده ، وهي تحمل الى جانب عاطفته المشبوبة وحبه لوطنه ، طابع الانسانية وتحقيق المثل الاعلى ، وفي هذا دلالة واضحة على الحيوية الكامنة في ذهنه

وقد اعترفت بهذا الاكاديمية السويدية وقدرت هذه العبقرية الحية فذهبت تجوس خلال العالم وتفتش في قرية صغيرة في جنوب فرنسا لتخرج منها الى الناس الفنان الذي عرف كيف يواجه الخطوب ويصمد زمنا في وجه العاصفة فيحتفظ ــ برغم فاقته المادية

بتلك البهجة الموسيقية التى تواتينا رنانة خفاقة ، والتى أمكنه بها ان يثبت للعالم ان العبقرية الروسية لم تغرق بعد وان كانت السفينة قد غرقت بجميع مافيها !

ظهرت اول اعمال بونين الادبية فى روسيا ، فى عام ١٩٠١ وهى عبارة عن مجموعة اشعار نال عنها « جائزة بوشكين الادبية » وانتخب بعد ذلك بأربعة اعوام عضوا « بالاكاديمية الروسية » حيث جلس مكان تولستوى وجوركى ودستويفسكى وغيرهم من اعلام الادب الروسى .

وهو يجيد الانجليزية اجادة تامة ، وقدتعلق بدراسة الادب الانجليزى منذ حداثته ، وترجم الى الروسية اشعار كبلنج وتينسون وغيرهما من الشعراء الانجليز

وقد فر على أثر قيام الثورة البلشفية وتسجيل اسمه فى القائمة السوداء الى فرنسا حيث يقيم منذ ذلك الوقت فى قرية « جراس » التى يخلص لها الحب برغم انتفاء المشابهـــة بينها وبين مسقط رأسه كما يقول !

ولايفان بونين مسحة ارستقراطية فى كتابته ، ويستوى فى أسلوبه الغموض والابهام احيانا ، ويتسم أدبه بدقة الملاحظة واستقصاء الفكرة ، وانسجام الخيال ، والتواء التعبير ، واسهاب الوصف مما قد يضجر القارىء ويدفعه الى الملل والتبرم ، وهو الى جانب هذا ؛ واقعى ، كثير التهكم خاصة عندما يتعرض لوصف غباء الفلاحين من ابناء وطنه كما فى روايته « القرية » ، واكثر ما نلاحظه فى فنه « ترديده ذكر الموت » ، ووصف الموت وحياة العزلة وروح التصوف التى يطالعنا بها بين سطور رواياته .

وايفان بونين اقرب الى بوشكين فى آدابه منه الى تولستوى او ديستويفسكى ، ولذا يترسم خطى بوشكين ويعده استاذه ، ونراه يعترف بهذا فيضع تمثاله الهادىء المفكر على عتبة روايته الجليلة « سر الحب المقدس »

وقد أشار الى هذا الناقد الفرنسى جيروم تاردو فى خطابه عن « علاقة الادب الروسى بالادب الفرنسى المعاصر » ، وذلك فى الحفلة التى أقامتها اخيرا الجالية الروسية فى باريس لتكريم ايفان بونين بمناسبة فوزه بجائزة نوبل فقال :

منذ ان أصدر مليتور دى فوجويه كتابه عن الفن الروائى الروسى ، تجلت أمام أعيننا — نحن الفرنسيين — آدابكم الخالدة ، وكنا قبل ذلك فى حالة جهل ساذج لانعرف ماذا يكتبون وكيف يفكرون فى بلادكم ، لانعلم بوجود تلك العبقرية النادرة التى يمثلها فى بطرسبرج وفى موسكو كتاب ومؤلفون ألموا بمختلف نواحى الادب ، وكان من جراء هذا الحدث التاريخى ان تطور الادب الفرنسى وانتحى ناحية جديدة ، فهل هناك روائى فرنسى يستطيع ان يؤكد لنا أنه لم يتأثر بهؤلاء العباقرة فى دائرة قوته وذوقه الادبى

« لقد جاءنا تولستوى باشياء كانت مجهولة عند أمثال موباسان وفلوبير وستندال ، وهى أنه من المستطاع تشييد عمل فنى حول مشكلة أخلاقية ، وعلمنا دستويفسكى ان فى الانسان شيئاً آخر غير الشعور العام الذى أوضحه الأدب الفرنسى فى القرن السابع عشر ، بل أنه يوجد فى كل فرد منا عالم خاص من الشعور الغامض المظلم دفعنا دستويفسكى الى أن نستكشفه ونتبينه ، أما دروس تورجنيف فلم تكن ثمينة الى هذا الحد ، لانه كما يظهر تتلمذ على الأدب الفرنسى ولكن فنه الرائع كشف لنا عن عقليتكم وشعوركم وطبيعتكم .

« وإلى جانب هـذه الأسماء العظيمة ، يجب أن أضيف اسما آخر ، فليس كتاب دى فوجويه وحده هو واسطة التعارف التى بيننا وبين هؤلاء الكتاب ، فهناك برنيمه الذى يحدثنا عن بوشكين ذلك الفنان الملهم والشاعر الروسى المحبوب ، الذى اتضح لى بعد قراءته أن هناك صلة وثيقة بين فنه وأدب ايفان بونين : ذلك الفن الذى يذكرنا — نحن الذين تسممنا بافكار علماء النفس وعلماء الوعظ — بأنه لا حاجة بنا مطلقا الى خلط الخـــير بالشر »

* * *

كتب ايفان بونين إلى الآن نحو عشر روايات كلها تفيض بالنزعة الانسانية وتحقيق المثل الأعلى ، منها : كأس الحياة ، والليل ورجل من سان فرنسسكو ، وسر الحب المقدس ، ثم «القرية» التى يقول عنها مكسيم جوركى انها « خير ما كتبه الروائيون عن الفلاح الروسى » ، والتى أنصف فيها بونين هـذا الفلاح — الذى لم تغيره النظم الحالية — خير انصاف ، لانه اذا كانت القيصرية قد ظلمته ، فان البلشفية غمطت حقه وازدرته فى الوقت الذى شادت فيـــه ورفعت من شأن العامل هناك .

وقد أخرجت المطابع فى الفترة الاخيرة ، رواية بونين الخالدة « حياة ارسنيف » ، ومن المؤكد أنه نال بها وحدها « جائزة نوبل » ، وقد وصفها أحد النقاد بانها عبارة عن حياة بونين نفسه ، ولكن بونين يدفع هذا يقول :

ان « حياة ارسنيف » تشبه الى حد ما تاريخ حياتى ، ولكنها فى نظرى اقرب الى الرواية الحقيقية ، ومع ذلك فانى اذا

(البقيـــة على صفحة ٣٣)

العلوم

البحوث الروحية

للاستاذ عبد المغنى على حسين

خريج جامعة برمنجهام

هل يصل العلم الحديث إلى استنباط وسيلة للتخاطب مع أرواح الموتى ؟ لا مبرر للقول بأن هذا مستحيل . ويكفى أن نستعرض تاريخ العلوم فى العهد الأخير لنرى كم حققت لنا من ضروب المستحيلات . فأذا امتد أجل المدنية الحاضرة ، وواصل رجال العلم بحوثهم فى هدوء واطمئنان ، فقد يتحقق على أيديهم كل حلم وخيال ، بل ومالا يخطر ببال .

قد يقال إن العلم الحديث لا شان له بالارواح . لأن اختصاصه ينحصر فى المادة ومحيطها . ولما كانت الأرواح غير مادية فهى من العلم كالثريا من سهيل

هى شامية إذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يمانى .

هذا القول يبدو صحيحاً فى ظاهره . ولكن الواقع أن عدداً كبيراً جداً من البحوث العلمية فى الوقت الحاضر يتعلق بأشياء بعيدة فى ذاتها كل البعد عن المادة . خذ المجال المغنطيسى مثلا . فهو عبارة عن دوائر فى الأثير تحيط بقطعة الحديد الممغطسة . دوائر غير مادية فى وسط غير مادى . خذ أمواج الراديو وموجات الحرارة والضوء وأشعة أكس ، كل هذه أيضاً ظواهر غير مادية فى وسط غير مادى .

قد تسلم معى بأن هذه الظواهر فى ذاتها غير مادية ، ولكن تقول أن يد العلم لم تكن لتصل إليها إلا عن طريق تأثيراتها فى الأجسام المادية . فالمجال المغنطيسى غير المحسوس لم يكن العلم ليعترف بوجوده لولا تحريكه لقطع الحديد وأدارته لإبرة البوصلة . وأمواج الأثير لم يكن العلم ليقر وجودها لولا تأثيرها فى آلات الراديو أو فى الألواح الحساسة . فالعلم أذن لن يعترف بوجود الأرواح المجردة عن المادة إلا اذا استطاعت التأثير فى جهاز مادى .

هذا صحيح . ولا بد للأرواح المجردة قبل أن تصبح حقيقة علمية من أن تحدث أحداثاً محسوسة ظاهرة . وهذا هو السبيل الذى سلكه « سر ألفر لدج » ومن قبله « سر وليم كروكس » و « الفرد رسل ولاس » وحاولوا منه اثبات وجود العالم الروحى إثباتاً علمياً ، ثم العمل على الاتصال به بوسائل عليه فى متناول كل إنسان .

فما هو الجهاز الذى ركبه أولئك العلماء وهيأوه لتستخدمه الأرواح ؟ أنه مع الأسف ليس بآلة حديدية أو خشبية أو زجاجية ، وليس مما يصنع ويباع . هذا حلم لم يتحقق بعد ، وأن لم يكن مستحيلا . الأرواح لا يناسبها الى اليوم غير الجهاز المخى العصبى العضلى وهو الجسم البشرى . ولذلك لا تستطيع أن تتصل بنا الا باستخدام جسم بشرى لشخص يسمونه الوسيط .

فما هو الوسيط ؟ وهل يستطيع كل انسان أن يكون وسيطاً ؟ أم هل الوساطة وقف على أفراد معينين ؟ يقولون ان الوساطة صفة مجهولة السبب . وأنها من ضروب العبقرية ، كالقدرة على الغناء الشجى عند المغنى الموهوب ، وكالبراعة فى الشعر عند الشاعر الفحل . وكما أن كل واحد منا لا يستطيع أن يكون مغنياً أو شاعراً ممتازاً ، فكذلك لا يستطيع كل منا أن يكون وسيطا . والوساطة كالغناء والشعر متى وجدت بذرتها فى الشخص يمكن تقويتها وتغذيتها وأنماؤها بالتعليم والمران ، كما يمكن أضعافها وأماتتها بالأهمال والكبت والانصراف عنها الى غيرها . وهم يقولون ان الوساطة موجودة فى عدد من الناس أكبر بكثير مما نتوقع ، ولكنها تهمل فى الاغلبية العظمى من الحالات . فتموت من تلقاء نفسها اذا كانت ضعيفة ، وتحسب شذوذاً نفسانياً أو خلقياً أو مرضاً عصبياً اذا كانت قوية

الوسيط كعامل التلفون تذهب أليه وتطلب منه أن يصلك بالعالم الآخر فينيلك ماتريد . كيف يقوم الوسيط بهذا العمل الغريب وعلى أى صورة يؤديه ؟ الوسطاء يختلفون فى أداء مهمتهم ، فنهم من وهب القدرة على الكشف البصرى Clairvoyance فهو يرى الارواح كما يرى الأشباح . ومنهم من لديه خاصة الكشف السمعى Clairaudience فهو يسمع حديث الأرواح وينقلها الى الأحياء . ومنهم من تستولى الروح على يده وتكتب بها ما تريد دون أن يكون لفكر الوسيط دخل فيما يكتب . ومنهم من يغيب عن رشده ويسلم جسمه كله للروح فتستخدمه كما كانت تستخدم جسمها فى حياتها الأرضية .

والوسيط يتناول بطبيعة الحال أجرا لقاء ما يؤدى للناس من خدمة يصرف فيها الوقت والمجهود . لأنه ككل الناس لابد له من أن يعيش . بل هو جدير بالأجر الحسن والعطاء السخى . ولكن أنى لنا ان نثق بصدقه ونطمئن الى صحة دعواه الخطيرة . ولم لا يكون محتالا ماكرا يعيش بالادعاء على الموتى وتغفل الاحياء .

لاشك ان مجال الاحتيال واسع فى هذا الميدان ، وهناك حتما مدعون للوساطة يكسبون من خدع البسطاء عيشا سهلا . ولكن هذا الصنف فى الغالب يعمل فى الخفاء ، وينفرد سرا بالسذج والاغبياء . أما القول بأن وسيطا زاول عمله فى جمعية علمية سنين متوالية ويجتمع به كل يوم رجال أذكياء اعتادوا البحث العلمى المنطقى المنتظم يكون مدعيا ومحتالا ، فقول بعيد جدا عن المعقول وهو مرفوض بالبديهة .

الواقع ان جمهور العلماء اليوم يعترف بوجود افراد لهم مواهب نفسانية غريبة تمكنهم من ان يدلوا إليك بمعلومات جمة عن نفسك واسرتك ، ومن مات من معارفك ، مما يستحيل ان يكون قد وصل إليهم عله من طريق طبيعى معتاد ، والخلاف بين العلماء ينحصر فى تعليل هذه الظاهرة ، وهل هى اتصال بكائنات حية غير منظورة مما نسميه الارواح ام لها سبب آخر

هناك تعليل آخر يصح أن تعزى إليه هذه الظاهرة وهو قراءة الافكار أو ما يسمونه بالتلباثى « Telepathy » : فقد ثبت بالتجارب العلمية الصحيحة ان بين الناس من يستطيع استطلاع ما فى فكر الآخرين دون ان يحتاج فى ذلك الى اشارة أو لفظ . وقد اجرى العلماء فى ذلك تجارب عديدة ، فاذا طلب من أحد الحاضرين حصر فكره فى شيء معين استطاع هذا الموهوب بعد فترة من السكون ان يعرف ذلك الشيء ، فيمكن القول إذن بأن ما يدلى به الوسيط وينسبه الى الارواح يحصل عليه كله من أفكار الحاضرين .

ولكن الوسيط يدلى أحيانا بمعلومات ليست فى ذهن أحد من الحاضرين فى ذلك الوقت ، فكيف نعلل هذا ؟ يمكن تعليله بأن الوسيط يقرؤه من العقل الباطن لأحد الحاضرين . إذ لكل انسان عقل باطن تستقر فيه ذكرياته وكل ما مر به مما لا يفكر فيه فى وقته الراهن . فلعل لدى الوسيط القدرة على ولوج هذه الناحية العجيبة من العقول ليستخرج ما شاء منها كلما شاء .

ولكن ما قولنا فيما يدلى به الوسيط أحيانا مما لا يمكن أن يكون قد مر بذهن أحد من الحاضرين يوما ما ؟ إن الوسيط ينسب أصله

— ٧١ —

إلى الأرواح التى تخاطبه ، فهل نسلم معه بهذه الدعوى الخطيرة ، وتتخذ من ذلك دليلا علمياً على صحة وجود العالم الروحى والحياة الآخرة ؟ إن بعض العلماء يميل لهذا الفرض . ولكن البعض يميل إلى فرض آخر وهو القول بأن الميت أثناء حياته كان قد فكر فيما ينسبه إليه الوسيط فانتقلت أفكاره إذذاك إلى عقول الأحياء بطريق التلباثى واستقرت فى عقلهم الباطن ، ثم استطاع الوسيط أن يستخرجها من عقلهم الباطن بطريق التلباثى .

أى الفرضين يا ترى هو الصحيح ؟ أظن أن الفرض الثانى هو محاولة بعيدة وتعلق بالقش لأنقاذ الفلسفة المادية من الغرق بعد أن غاصت تحت الماء .

سنواصل هذا المبحث الواسع المتشعب فى فرص أخرى ان شاء الله ؟

ايفان بونين

(بقيـــة المنشور على صفحة ٣١)

كتبت فانما استقى فنى من ذاكرتى ، وهذا ما يحمل بعضهم يظن انى سردت تاريخ حياتى فى هذه الرواية . ومما يشجعنى على العمل ان المرئيات التى صقلت فى ذهنى بمرور الزمن هى التى تدفع بى دائما الى ترديد ذكريات عن الطفولة والشباب والكهولة .

(ويمكن لاى كاتب تعرض لنقد « حياة ارسنيف » ان يطلق عليها اسم « حياة دورانت » أو « حياة ديبون » أو حياة أى شخص آخر ، فهى حياة فقط ، وحياة رجل فى دائرة ضيقة جاء الى العالم يبحث عما كان بين الملايين من لداته ، فهو يعمل ويشقى ويحب ويريق دمه ويجاهد من أجل سعادته فينهض او يرزح تحت حمل الحياة) .

وليس لايفان بونين اتجاه أدنى آخر ، بل هو يردد ما سبقه اليه جيته عند ما سئل من أنت ؟ فأجاب : لا أعلم ... وانا سعيد بذلك ، فانا رجل حر وحسب .... نعم اننى لست جيته ، لكننى رجل حر مثله ، ومحب لمهنتى ، برغم الصعوبات المحيطة بها ، اذ انها تتيح لى حرية العمل والانتاج وحرية امتلاك نفسى ، وقد سافر بونين فى أوائل هذا الشهر الى استكهلم حيث تسلم جائزة نوبل ، وسيعود بعد ذلك الى قرية « جراس » التى ينوى الا يتركها حتى ينتهى من كتابة الجزء الثانى من « حياة ارسنيف » ؟

تأزين الهواء

دخل الشتاء وبدخوله تسد المنافذ وتغلق الأبواب منعا للبرد، وتزدحم الحجر بالناس طلبا للدفء، فيفسد هواؤها وتسوء رائحتها ويثقل جوها، ويعترى أهلها استرخاء وهمود، فاذا سألتهم عن سر هذا قالوا: فسد الهواء، واذا سألتهم عن علاجه قالوا افتح الشبابيك، وهم فى تسبيبهم وتطبيبهم مصيبون، ولكنها أصابة مبهمة ادركتها الفطرة دون العلة، وساقتهم اليها البديهة التى لا يعرفون لها سببا

زعم الفسلجيون يوما ان إخمام الحُجَر وثقل جوها يرجع الى سببين: أولهما زيادة غاز الكربون فى الهواء بالتنفس، وثانيهما زيادة حرارة هذا الهواء. وكلاهما علة خاطئة حسب ما أجمع عليه علماء اليوم. وذلك أن غاز الكربون يوجد فى الهواء الطلق العادى بنسبة جزء من كل ١١٠٠ جزء من الهواء، وقد أجروا تجارب على الانسان فوجدوا أنه يستطيع العيش بلا ضيق ولا تأفف فى هواء نقى يحمل ٣ ٪ من غاز الكربون، أعنى يحمل ثلاثين قدرا مما يحمل الهواء الطلق. كذلك وجدوا أن الانسان يستطيع المكث ساعات فى الحمامات العامة الحارة المسماة بالتركية، دون أن يحس بشىء مما يحس به فى الغرف الخامّة المزدحمة بالخلق، بل على النقيض هو يستمتع بدفئها وقد تبلغ حرارتها الخمسين

السبب الأول فى اخمام الحجر ليس غاز الكربون، وليس ارتفاع الحرارة، وان كان لهما حظ فى تسبيبه فهو حظ ضئيل لا يتناسب مطلقا مع شائعة السوء التى شاعت عنهما. انما يرجع سبب هذا أو أكثره الى دقائق صغيرة من مواد عضوية تنبعث فى الهواء من الرئتين والجسم على السواء، دقائق ولكن فعلها جسيم، فهى مواد سامة مهيجة تُعِل الهواء فتحدث فى الجسم علة مبهمة يعبر عنها باختلال المزاج. ولهذه المواد فوق ذلك فعل فى الجهاز العصبى. فهى تسكنه وتهمده، وبخاصة بسبب ما تحمل من رائحة كريهة، وبتفتر الجهاز العصبى يعجز الجلد عن أداء وظائفه التى منها تبريد الجسم، وعندئذ تكون حرارة الحجرة ضغثا على ابالة، تزيد فى ضيق الانسان وحدة مزاجه

وعلاج هذه الحال هو بالطبع فى التخلص من هذه المواد، وأيسر طريق للتخلص منها فى حيز محدود يكون بأكسدة هذه المواد لتستحيل الى أجسام أبسط لا ضرر فيها. وهذه طريقة الطبيعة ذاتها فى التخلص من هذه المواد، فهى تستخدم الأزون لأكسدة هذه المواد. وهو غاز تصنعه الطبيعة من أكسجين الهواء، وهو يتكون فيها كلما تبخر ماء أو تكهربت سماء، لا تلك الكهربة الصائتة التى تحدث البرق والرعد، بل تلك الكهربة الصامتة التى تتفرغ بين السحاب والسحاب ولا يحس بها أحد. وهذا التفرغ الصامت للشحن الكهربائية هو الذى يستخدم فى تأزين الهواء فى الصناعة، أى احالته الى أزون، وهو عمل أشبه شىء بالتكثيف، فجزىء الأكسجين يتركب من ذرتين من الأكسجين، أما جزىء الأزون فيتركب من ثلاث ذرات، وهو لذلك ليس له استقرار الأكسجين، فهو لذلك فعال، لا يلبث أن يلتقى بأمثال تلك السموم التى نحن بصددها حتى يهاجمها فيعدمها، لا يعدمها بالمعنى الدارج، بل هو يحيلها الى ما لا ضُرّ فيه

وقد جدت الصناعة فى هذه الأيام واهتمت حتى بهذه الناحية، بأصلاح الهواء بعد فساده دون فتح النوافذ والتعرض لأخطار الهواء البارد والتيار اللافح الباغت، فخلقت مؤزّنا سهل الحمل تضعه فى حجرتك أو مكتبك أو صالة استقبالك أو فى أى مكان به رئات عديدة جادة فى التنفس، وتصله بمنبع الكهرباء من الحائط، فيتوزّن لك الهواء فيظل مع انحباسه طاهرا نقيا. وهو فوق ذلك جهاز رخيص، فهو يعمل ٢٠٠ ساعة ولا ينفق غير وحدة من الكهرباءة واحدة

« ز »

استدراك

فاتنا أن نذكر الجمل الشارحة تحت الأشكال الثلاثة التى نشرت فى العدد الأخير بموضوع (فى النبات وحشيه وأنيسه) للدكتور أحمد زكى، واستدراكا لذلك ننشر هذه الجمل ليرجع اليها قارىء المقال فى فهم هذه الأشكال. يكتب تحت الشكل الأول (طريقة حصاد القمح الأمريكى. بالآلات فى ولاية وشنطون) وتحت الشكل الثانى (اناء جنائزى فى شكل بطاطستين من قبر فى شنبوطى فى بيرو بأمريكا الجنوبية) وتحت الشكل الثالث (آله الذرة عند أهل بيرو القدماء. وكان يدفن فى الحقل وسيلة لنمو المحصول. وهو يصنع من مطر الذرة «كيزان الذرة»)

القصص

الحقيقة

للآنسة سهير القلماوى
ليسانسيه فى الآداب

(هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ؟)
« قرآن كريم »

تململت فى فراشها وظلت تنظر ذات اليمين وذات الشمال ثم تغمض عينيها وتفتحهما ثانية وتفكر اين هى هيه ... اين هى ؟ ... آه اهى فى المستشفى ،وقدجاءت اليها منذ ايام ؟منذ أسابيع ؟ منذ شهور ؟ لاتدرى . ولكن لم جاءت ؟ يقولون انها مصابة بمرض عقلى انهك اعصابها . وحياتها فى خطر من جرائه . هاها ! مضحك ! اهذا كل مافى الامر ؟ ... ولكن أين أختها ؟ لقد كانت جالسة هنا منذ حين ،ولقد اوصتها ان تكتب كل ماتمليه عليها ،ولكن الظاهر انه لم يكن هناك ماتملى فقامت . وضحكت ضحكة عصبية عالية. هاها ! الساذجة ! الا تدرى ان رحلاتى فى عالم الارواح اصبح يحوطها جو غريب ،جو يقبض الانفاس فلا استطيع التحرك ولا التكلم ولا ... ولا التفكير .. ترى هل اوفق ؟ اعينينى ايتها القوى الخفية ، اعينينى ،ارحمينى ،فما فى مطلبى اجحاف ولا ظلم ولا طمع. كل ماأريده هو ان اعرف الحقيقة .

دخلت الاخت ودلائل السهر بادية عليها :اصفرار فى الوجه، وورم فى العينين ، وخمول ووهن فى الاعصاب.

« اين كنت ؟ آه من لى بهذا الاطمئنان ،بل هذا البرود الذى يسود حياتك . انت لاتعرفين عما اريد ان أعرف شيئا ،ومع هذا انت لاتأبهين بشىء . ايمان مطلق وهدوء تام . ثم هؤلاء الاولاد، اولادك ماذا علمتهم عن الحياة ، عن الموت ،عن الله ،عن الحساب، عن الروح . . . لاشىء ،لاشىء ، لانك لاتعلمين شيئا ،ولا تريدين ان تفكري لتصلى الى شىء »

« كفاك اختاه ماانت فيه من وهن الاعصاب . اريحى رأسك قليلا .لقد شغلت هذه المسائل رؤوس آلاف الناس قبلك،وستشغل رؤوس آلاف الناس بعدك . ولن يوفق اليها احد لأن الله اراد ذلك ، وإرادة الله ليس لها مرد . » فصاحت فيها

« لم ينه الله عن البحث والتفكير ،ولم يامرنى الا اعرف شيئا عن هذه الاشياء ،اقتربى هنا ،ماذا كتبت ؟لا لا اريد شيئا من هذا، اكتبى ماأمليه عليك كله :اكتبيه رسالة منى الى اهل هذا العالم كلهم، سأعرف الحقيقة اليوم ،ستقودنى اليها قوة خفية لاأعرف عنها شيئا الآن ولكنى سأعرفها بعد حين . اياك ان تفوتك كلمة واحدة او أشارة واحدة . افهمت ؟ »

« نعم اختاه ، سأكتب كل شىء »

لقد كانت دائمة الصمت كثيرة التفكير . اتسعت دائرة تفكيرها على مدى الايام حتى شملت اعوص ما فكر فيه الانسان واغمضه . ولم تصل الى العشرين من عمرها الا وشغل تفكيرها هذا الكون بما فيه من قوى خفية . قوى تتلاعب بالانسان كيفما شاءت ،وهو لايدرى من أمرها شيئا .يحاول ويحاول ولكن سرعان مايعرف ضآلة المرحلة التى اجتازها امام ذلك الخضم المظلم من الاسرار والخفايا .

اشفقت عليها أمها مما هى فيه ، وحاولت ان تدخل الى تلك النفس المفكرة الصامتة الحزينة بعض مايسليها أو يريح فكرها ، ولكن نصيبها كان الفشل المؤلم .

وهاهى ذى الايام تجرى سريعة والام يزداد اشفاقها،وخوفها والفتاة يزداد نحولها وضعفها ، ويزداد احتقارها لكل شىء فى العالم الا ما تفكر فيه .كل متعة تنظر اليها كما ينظر الشاب الى الاعيب صباه ،واذا مارغبها احدفى اى لذة أو سلوة هزت كتفيها وقالت :

« لست أدرى ماهذه السذاجة ؟لقد القى اليكم مدبر هذا الكون بهذه الالاعيب لتلهوا بها عن اللذة الكبرى : لذة العلم ، لذة معرفة الحياة وما بعدها . »

سارت حالها على مر الايام فارغمت على ملازمة الفراش فى مستشفى الامراض العقلية ، ولكن ذلك لم يمنعها من مواصلة التفكير . وكثيرا ماقرأت فى كتب الدين ،وكثيرا ماقرأت القرآن، تقف عند بعض آياته فتسترسل فى التفكير العميق ،وكثيرا ماوقفت

عند الآية (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وحملت الآية أكثر ما يمكن من معانى الاستهزاء والسخرية « وهؤلاء الناس لا يعلمون شيئا ، ولكنهم لا يجتهدون فى أن يعلموا شيئا . قنعوا بما لهم وفسروا العلم بتلك المحاولات التافهة التى يقضون العمر فى تحصيلها وكأنها هى العلم ، لقد انشغلوا عن العلم الحق ، عن اهم مايتشوقون اليه . لقد خدعوا انفسهم والبسوها ثوبا من الايمان والاطمئنان وهم يعلمون فى قرارة نفوسهم انه ليس الا مبردا للنار المتقدة ، وملطفا لهذا التطلع الغريزى »

جلست الاخت قرب سرير اختها واخذت تلاحظها وتدون بعض هذه الملاحظات ، وانتظرت والقلم فى يدها ان تكتب ما تمليه عليها كما وعدت ، ولكن النعاس غلبها فنامت . لم يطل نومها حتى قامت فزعة مذعورة على صوت اختها المحشرج وهى تصيح صيحة منكرة قائلة «لن تفتر عزيمتى مهما سرت ، فسر ايها النور ، سأتبعك ، سأتبعك فوق الجبال ، فى اعماق الانهار ، فى السماء ، فى جوف الارض تعلو وتنخفض ولكنى اتبعك . لن ارجع كما رجعت قبل اليوم ، ولن انظر الى نفسى فتشغلنى عنك ، سر انا وراءك . »

كتبت الاخت واستمرت هى تقول « بدأت افهم ، نعم عرفت ، ولكنى لا أقوى على التعبير عما اعرف ، لماذا ! ؟ . . . . كلا لن افكر فى هذا ، سر ، سر ، ايها النور انى وراءك ، آه ألهذا اذن نموت ولهذا اذن نحيا ، نعم ولهذا يجب الا نعرف ، فهمت ، عرفت ، ولكن يجب ان اعرف اشياء اخرى ، يجب ان اعرف السر الاعظم سر ، سر ، انى وراءك . »

« نعم لقد عرفت كل هذا ايضا ، ولكن كيف اعبر عنه ؟ فلأحاول فلأحاول ، لا ، لا أقوى سأعبر عند ما اعود الى هذا ، الى ماذا اسميه ؟ الى هذا الملعب ، الى روضة الاطفال ، الى ما يسمونه العالم . ها ! ها !

« لقد اعيانى السير ، اما آن لى ان اعرف الله ، ان اعرف القوى المهيمنة على كل شىء ، على كل ملاعب الاطفال هذه ، ما أكثر عددها وما اشد اعتداد كل منها بنفسها ! كأن ليس هناك سواها . لقد عييت ، ولكن كلا كلا ، سأسير ، سر انى وراءك . . . .

« رهبة شلت حواسى ، لقد امتزج هذا النور الذى اتبعه بالظلام حوله ، ولقد كانا قبل يزيد كل منهما فى قوة الآخر . . جو غريب لا هو ظلام ، ولا هو نور ، شىء ثقيل ينزل على رئتى ، الكلام عسير ، والتنفس شاق . . . .

ستار هائل عظيم امسكت بطرفه يد خفية . سيزاح هذا الستار دون شك ووراءه الحقيقة الكبرى . كل ما فى ينبض بذلك . ازداد الثقل على رئتى . . . . لا استطيع التكلم ، الستار يزاح ، التنفس عسير عسر ، لقد قضى كل شىء ، سأعرف سأعرف ، سينزل الستار ، هو ينزل بالفعل قليلا . . قليلا ، سأعرف سأعرف ، قليلا ، بطيئا ، لقد عر . . . فت . . . . آه .

ودوت صرختها قوة كالرعد مرعبة محشرجة ، ثم ساد الصمت ، صمت عميق ، عميق رهيب مخيف ، وقفت الأخت عن الكتابة فزعة مذعورة ولكنها لم تقو على تحريك رأسها ناحية أختها المريضة ، حاولت ان تنادى فلم تفلح ، واخيرا أدارت رأسها فصرخت هى الاخرى صرخة مروعة ، امامها عينان جاحظتان خيل اليها انهما فصلتا من الرأس ، وانهما كل شىء على الفراش . وحولهما عروق نافرة زرقاء متوترة مشدودة اغمضت عينيها وفتحتهما مرة ومرتين ، واخيرا استطاعت بعد لأى ان تمد يدها لتلمس الجسد امامها ، فردت يدها قشعريرة شديدة مكهربة ، ودوى صوت هائل رن فى اذنيها . تبينته فاذا هو ضحك استهزاء ، ضحك غريب الصوت متواصل ، وكأن آت من عالم آخر ، ليس لها به عهد ، ضحك ، بل اغراق فى الضحك ، ثم ماذا ؟ صوت كلمات ، صوت هادىء رزين ولكنه مسموع برغم هذه الضحكات الهازئة العالية المتواصلة . ماذا يقول ؟ ماذا ؟ . (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟)

سهير القلماوى

وجـه صالح للسـينما

للكاتبة الالمانية فيكى بوم

مؤلفة « الفندق الكبير »

كانت من المصادفات النادرة الوقوع ان شاهد جوهانس فيليب المخرج السينمائى ، من خلف الصحيفة التى كان يطالع فيها وهو فى عربة الترام . تلك المرأة العجوز الجالسة أمامه فاذا بجسمه يضطرب اضطرابا ظاهرا واذا البرودة تسرى الى اطرافه .

كانت هذه المرأة ، واسمها دربجالسكى - المادر بجالسكى - من اللاتى تراهن فلا تستطيع ان تقدر لهن عمرا ، تراها فكأنك ترى تمثالا للشقاء والبؤس ، وكأنها الفقر عاريا متجردا فى صورة انسان

ولم يكن شعرها الذى فقد لونه المنسدل حول وجهها النحيف الشاحب هو كل ماأثر فى نفسه ؛ بل أثرت فيها تلك التجاعيد التى لاعد لها والتى تملأ وجهها ، تجاعيد حول فمها الغائر ، وتجاعيد خطت سطورا متقاطعة فوق جبينها ، وحفر قاتمة مظلمة تحت عينيها ، اثر فى نفسه منظر يديها النحيلتين اللتين برزت عظامهما ممسكتين كيسا من الجلد وضعت فيه ما أحضرته من السوق ، وحذاؤها الذى لم يبق منه طول العهد غير الاثر ، ثم تلك الاسمال النظيفة البالية التى ترتديها .

لكن أشد ماتأثرت به نفس المخرج السينمائى هو مابدا على المرأة من اهمال وقلة مبالاة ، وملامح اليأس والتعس والقنوط التى تنم عليها عيناها تحت حاجبيها النحيلتين

وأغمض عينيه لحظة ليخفف الاثر الذى فعلته فى نفسه ، وهنا فى تلك اللحظة مر خاطر بباله ، وكأنه يرى امامه ، منظر الجماهير المحتشدة فى احد المناظر التى يعدها للشريط السينمائى الجديد الذى اعتزم اخراجه ويريد ان يضع له عنوانا : صرخة من « الاعماق » .

وخيل اليه انه يرى جمعا من النساء ، وكأن كل واحدة منهن تشبه تلك التى امامه ، رآهن جميعاً يتزاحمن ناحية سلم كبير وكأن بينهن تلك الجالسة امامه الآن ، الا انها انتحت بعيدا عنهن جميعا ثم سارت يبدو عليها البؤس والاسى

وفتح المخرج السينمائى عينيه ، وذكر انه فى عربة الترام ، فقام من مجلسه وتقدم نحو المرأة قائلا

— هل لك ياسيدتى ان تحضرى يوما الى الرجل الذى اعطيك عنوانه الآن ؟ وأحسبه يدفع لك أجرا طيبا .

ومرت فترة حتى بلغت كلماته ادراك دربجالسكى ، ولكنها لم ترفع اليه بصرها برغم انها فهمت مايريد ، وربما كانت متعبة فلم تستطع ان تجلى فيه بصرها ، او حال الالم البادى فى عينها دون أن تنظر اليه ، واخيرا فتحت فمها المطبق وقالت :

— أأعمل عمل غسالة ؟

— كلا ، بل عمل سهل واجر طيب ، وسوف يشرحون لك كل شىء اذا ذهبت اليهم ، وأجابت وقد اهتزت عربة الترام فكادت المرأة تسقط من مقعدها

— اسمع !.. انى كنت أغســـل .. وكنت أتناول سبعين (بفننج) اجر ساعة واحدة فى اليوم ، ولكن هذا العمل قد انتهى الآن ، والمحل الذى كنت اشتغل فيه اغلقت ابوابه . . . على أى حال افضل ان اكون غسالة .

— لا اظنك سعيدة فى حياتك ؟ . . .

وبعد أن توقفت قليلا ، قالت :

كانت الأمور سائرة سيرها الطبيعى قبـل تلك النوبات التى أصبحت تنتاب زوجى ، نوبات فظيعة تصيبه فيستحيل وحشا حتى ليعجز أربعة رجال عن تهدئته ووضعه فى فراشه ، وهو عاطل لايعمل . . . ينام أغلب وقتـه . . . ولكـن حين تعود اليـه النوبة ! . . .

كان عاملا فى مصانع بوش وزايش ، فسقطت قطعة من الحديد فوق رأسه . . . غير أن الطبيب يقول ليس هذا وحده ما سبب له هذه النوبات . . . بل لأن زوجى كان سكيراً ... ربمـا أصاب الطبيب . . . كذلك ولدى ، عقله غير كامل . . . لسوء حظه . . . لم يكن بهذا القدر من السوء وهو صغير ، كان يجلس هادئاً فوق مقعده الصغير ، فلما بلغ السادسة عشرة أصبحت تصيبه نوبات شديدة . . . وذلك من سوء حظه أيضاً . . . فأنا التى أقوم بكل ما يحتاج اليه البيت .

من عهد قريب كنت سائرة فى الشارع فسقطت على الأرض ... ونقلت إلى أقرب محل للاسعاف . وقال الطبيب . انها ليست مريضة انمـا هى قلة التغذية . . . ماذا تفعل بضعة دريهمات أمام أجوز الغاز . . . وأجرة البيت ؟

كانت تتكلم بصوت ضعيف خافت كانها تخاطب نفسها ، وانحنت

قليلا فوق الكيس بين يديها . لا بأس . . . إذهبي وقابلي الهر ثوربج فقد يصلح حالك فيما بعد ، وألح عليها في الذهاب ما استطاع ، ثم ترك العربة وهزت دربجالسكي رأسها وهي تفكر كيف يمكن أن يصلح حالها .

وهكذا بدأت الما دربجالسكي مجدها السينمائي العظيم

ومضت إلى استوديو (هالفا) وكأنها شبح يتنقل في هيكل من عظام ، وسألت عن هر ثوربج — رناتس ثوربج . كاتب السناريو الذي كان شاعراً قبل أن يشتغل بهذا الفن .

وكاد ثوربج يجن بها فرحا ودعا اليه غيره من زملائه وقد شاركوه إعجابه . أما دربجا لسكي فظلت واقفة وسط الغرفة دون أن تدرك شيئا ومع ذلك لم يبد عليها اثر من الدهش فقد علمها الشقاء ألا تأبه لشيء .

وطلب اليها ان تسجل اسمها لدى الكاتب المختص بذلك في الاستوديو ، وذكروا لها انها ستتناول عشرة ماركات في اليوم ، فكان كل مابدا عليها انها عجزت عن تصديق ذلك .

. . . . .

كان الاستوديو غاصا بنساء كثيرات يرتدين اسمالا كتلك التي ترتديها دربجا لسكي ، وحول عيونهن تجاعيد كتجاعيدها الا انها تجاعيد زائفة من دهانات واصباغ . وألقوا بها بين الاخريات فكانت بينهن كأنها ليست منهن ، بوجهها الطبيعي وسط الوجوه المصبوغة بالطلاء ، وشقائها الحقيقي الذي لا تمثيل فيه . وأثرت الاضواء القوية في عينيها حتى سالت منهما الدموع .

وفي الساعة الواحدة كانت واقفة تحت مصباح كبير بين النساء الاخريات ، وصاح رجل كان واقفا فوق منصة عالية طالباً منهن جميعاً أن يرفعن رءوسهن ويلتفتن الى جهة أشار اليها . . . وكان هذا آخر مناظر الموقف .

وذهبت جميع النسوة الى مطعم الاستوديو الا دربجا لسكي فلم تشاركهن ، بل انتحت ناحية بعيدة وجلست فوق مقعد تأكل قطعة من الخبز أخرجتها من كيسها . وثوربج لم يحول بصره عن هذا الجسم الذي يبدو كأنه بقية انسان . . . وهو يفكر – لو أنه ظل شاعراً لنظم في صورتها قصيدة رائعة ، أما وقد أصبح مؤلفا للسينما . . .

وحان وقت العمل للتصوير فعادوا جميعا ، واستمر العمل حتى كانت الساعة الثامنة مساء ، والمخرج واقف فوق سلم امام النسوة ، ومن ورائهن رجال آخرون يلقون عليهن الاوامر من الابواق المكبرة للصوب . واخيرا أمروهن ان يسرن الى الامام .

وقيل لدربجالسكي ان تبتعد عن زميلاتها ، وان تتقدم وحدها لتصعد السلم ، وان تفعل ذلك حين تسمع كلمة : « الآن ! سيري . » وماعليها الاان تسير في مشيتها الطبيعية المعتادة ، وحين سمعت الاشارة تباعدت عن زميلاتها وسارت ثم رفعت يديها لتحجب عن عينيها النور الذي اثر فيهما ، فلم تعد تبصر شيئا . . . والمصور واقف فوق منضته يدير آلة التصوير وقد اخذ الاعجاب كل مأخذ منه ، فكان يصيح : ما اعجب هذا ! . . ما ابدع هذا ! . .

وقال ثوربج لدربجالسكي قبل ان تمضي تعالي غدا لاخذ منظر آخر ، وصورت في اليوم التالي وهي تحمل طفلا ، وصورت في اليوم الثالث ثم قدموا لها ثلاثين ماركا !

وسألتهم : متى اعود ثانية ؟ فاجاب الرجل الذي نقدها أجرها وهو يمزح – سنكتب اليك حين نحتاجك ، فليس العمل منظما هنا كعمل الغسالات !

— وعادت دربجالسكي متهالكة من التعب ، لم تدرك شيئاً من كل ما حدث ، عادت الى بيتها في انتظار أن تدعى مرة أخرى

واستدعيت المادربجالسكي مرات كثيرة في الاشهر التالية .

وكان منظر المرأة في بساطته وصدقه فدأعجب به كل من رآه ، ولهج النقاد بذكره كثيراً ، وبلغ إعجاب الجمهور به مداه ، وطلب الى دربجالسكي أن تقوم بدور آخر في رواية جديدة ، ومنحت عشرين ماركا أجر هذا الدور . وسألت شركة سينمائية أخرى عن عنوانها وأرسلت اليها تستدعيها ، وهكذا تسابق اليها المخرجون ، فكان مظهرها يكسب الموقف لوناً طبيعيا رائعاً : لون الألم والبؤس الصحيح الذي لا أثر للصناعة فيه .

وخرجت دربجالسكي من عزلتها التي كانت فيها ، فتعرفت الى غيرها من النساء اللاتي تستخدمهن شركات السينما ، وعرفت منهن أن تتردد على مكاتب الأستوديو إذا طال عليها الأمد ولم يستدعها أحد ؛ ولكنها برغم ذلك كله لم تدرك من الأمر شيئاً ، وكان كل ما عرفته أن أجرها يزيد خمس مركات اذا صورت وحدها عما لو صورت بين جمع من النساء . وقد تعلمت الطمع والجشع فكانت تبذل جهدها لتحقق همها الذي تؤمر به حتى يزيد أجرها

« البقيـــة على صفحة ٤٢ »

بحصر ،من هذه الضوضاء الغريبة التي يمتلىء بها البيت حين تفارقه الحياة ،ويمتلىء بها البيت حين تدخله الحياة .

قال الاستاذ محزونا مشفقا ،وكم قضى المسكين من وقت على هذه الحال ؟ قال التلميذ يوما كاملا نصفه فى ذلك البيت الذى كانت تخلو ، ونصفه فى هذا البيت الذى كان يعمر . ولقد لقيته فهممت ان أتحدث اليه فى الانتقال من دار الى دار ، وان اذهب معه مذهب الادباء فى هذا الحديث ،فأخذت أذكر له وقوف الشعراء على الاطلال واحياءهم لما يثير هذا الوقوف فى نفوسهم من الذكرى وما يسفح على خدودهم من العبرات ، وذهبت اروى له : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل . . وانشده: لخولة اطلال ببرقة ثهمد . . . واتغنى له بدمنة ام اوفى . . واروى له ماقال ذوالرمة فى ربع مية . واستطرد به الى ماقال ابو تمام فى عمورية بعدان دمرها المعتصم تدميرا . فلم أجد منه نشاطا ولا انبساطا وانما قال فى صوت المحزون ولهجة المتعب المكدود وما انا وذاك؟ لقد تنقلت فى حياتى بين دور كثيرة من حوش عطى ، الى درب الجماميز ،الى شق الثعبان ،الى مونبليه ،الى باريس ،الى السكاكينى ،الى الحوياتى ،الى هليو بوليس ،الى الزمالك ، فأقسم ماوجدت ساعة الانتقال لحظة من هذه اللحظات الحلوة التى يغنيها الشعراء غناء جميلا فى شعر جميل اودع فيها دارا احببتها وبلوت فيها الحلو والمر من الوان الحياة ،واستقبل فيها دارا لا اعرفها ولا أعرف ماستكشف لى فيها الايام عنه من الاحداث والخطوب . انما هو الضجيج والعجيج وازدحام الادوات والاثاث ، وصياح العمال والحمالين وخفق الاقدام ،وجر الاثقال ،ومجلس ضيق كهذا المجلس الذى ترى وساعات طوال ثقال كهذه الساعات التى رأيت ، ثم وصل لما انقطع من الحياة ،وسعى فيما أهمل من العيش ،وانغماس فى هذه الحركات العنيفة التى لاموضع فيها للشعر ولا مكان فيها للغناء . هنالك عدلت به عن هذا النحو من الأدب الى نحو آخر ،فأخذت اتحدث اليه عن قول ابى تمام

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل فى الارض يألفه الفتى

وحنينه ابدا لاول منزل .

واخذت اسأله عن احب منازله اليه وآثرها عنده فلم يحتج الى تفكير ولا تقدير ، وانما قال فى صوت حزين يشوبه الابتسام احب دار واثرها عندى انما هى تلك الدار التى درجت فيها طفلا فى قرية من قرى الريف ،وهذه الدار التى نشأت فيها شابا فى حوش عطى ، ثم هذه الدار التى أقمت فيها طالبا للعلم فى شارع من شوارع الحى اللاتينى فى باريس ولكن بشرط الا أعود الى الاقامة والحياة فى واحدة منها ،هى حبيبة الى كريمة على اثيرة عندى حين اذكرها وحين ألم بها الالمامة القصيرة اليسيرة ،فأما أحب الدور الى وآثرها عندى الآن فهى هذه التى تراها مضطربة مختلطة مملوءة بالضجيج والعجيج والصياح من كل نوع ، وترانى فيها اسيرا سجينا بين هذه الادوات المختلطة المكدسة حولى لا أستطيع حركة ولا انتقالا لانها ستستقيم لى بعد أيام ، وستحمل الى فيها ساعات الحياة من الوان العيش مالم اذق بعد . ويكفى ان اذكر تلك الدور كلها وكيف انتقلت من احداها الى التى تليها حتى انتهيت الى هذه الدار لتعلم انى كغيرى من الناس خليق الا امنح تلك الدور من نفسى الا هذا الحب الذى يقترن بالذكرى ، ومن يدرى لعلى ان انتقل من هذه الدار التى تراها الى دار اخرى أوثرها عليها واختصها بالتفضيل ، انما نترك فى كل دار نسكنها قطعة من قلوبنا ، ولكنك تعلم ان قلوبنا لاتنقص بما نفرق من أجزائها بين الدور ، وانما تكمل وتستكثر من الثروة بهذه الذكريات التى نحملها معنا الى أن يأتى هذا اليوم الذى ننتقل فيه الى منزل آخر لانؤثره ولا يؤثرنا ، لا نحبه ولا يحبنا ، لا نسعى اليه ولا يسعى الينا ،ولكنا نكره عليه اكراها ، ويكره هو علينا اكراها . . . .

هنالك أحسست مرارة الحديث فهممت ان اتحول بصاحبى الى حديث آخر ، ولكن أمور الدار وترتيبها كفتنى مؤونة هذا . الانتقال ، فقداقبل المقبلون يرفعون هذا ويضعون ذاك ؛ يتصايحون ويتبادلون بينهم الامر والنهى . قال الاستاذ لا بأس بهذا الموضوع ولكن على ان تعالجه علاجاً آخر وتعرضه عرضاً فنيا يثير الضحك ويثير الرثاء . وانما يتأتى ذلك حين تقصد اليه قصد صاحب الفن وتبث فيه جزءا من اجزاء نفسك يمنحه شيئا من الحياة ؟ طه حسين

(الرسالة) عاق الدكتور بعض الشواغل عن ترجمة النفس والرقص فأرجأها الى العدد القادم

الكتب

العـــراق

نقد لكتاب جغرافية العراق

تأليف الفريق طه باشا الهاشمي

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

صديقنا الفريق طه الهاشمي باشا مدير معارف العراق سابقا ورئيس أركان حرب جيشه حالا ، نسيج وحده اليوم في الجمع بين أدب السيف وأدب القلم ، توفر على الاصلاح المنتج الصامت من طريق التعليم والتأليف ، ورضي من سعادة العيش ومتاع الحياة بشرف الدفاع عن الوطن ولذة الجهاد في سبيل العلم ، فلم يدخل في فتنة ، ولم يساهم في حزبية ، ولم يوزع همه وجهده الا على مكتب في وزارته ، ومكتب في بيته . ومن يطلع على ثبت مؤلفاته في التاريخ والجغرافية وفنون الحرب لا يسعه الا اكبار هذا الرجل . وهذا كتاب جديد اسفر عنه عزمه في جغرافية العراق سيحدثك عنه صديقنا الدكتور محمد عوض ، والدكتور عوض استاذ هذا العلم كان في الجامعة المصرية ثم في مدرسة التجارة العليا ، فحديثه عن الكتاب نقد ، وشهادته للمؤلف الفاضل أصدق الحمد .

إن حديث العراق يثير في النفس أحاسيس لا سبيل إلى دفعها ، وظمأ لا سبيل الى ريه . ويبعث أمام العين صوراً قوية جذابة ، ويحرك في القلب شجناً وأي شجن . ويثير في الخاطر ذكرى عهود وأي عهود ! . فهات الحديث إذن عن الزوراء وعن هيت ، وعن سامراء وتكريت ، وعن الموصل وكربلاء وعن البصرة والكوفة ! أو اعد بهذا الحديث ذكرى ذلك العهد الجليل — كان عهداً جليلا للناطقين بالضاد ، وكان عهداً جليلا لبني الانسان كافة — أيام كان الوطن العربي كتلة واحدة ، كأنه العقاب الهائل باسطاً جناحيه على المشرق والمغرب ، أيام كان هذا الوطن العربي هو في العالم كل شيء وما سواه ليس بشيء ، أيام لم يكن في العالم نور سوى ما ينبعث من نبراسه ، ويضيء ارجاءه . ولم يكن في الدهر كله راية أسمى ، ولا منار أرفع من هذه الراية الاسلامية التى تظل تلك الاقطار الفسيحة المنتشرة ، من المحيط الاطلسي الى أقصى بلاد الصين ، حين كان سائر العالم يتخبط في دياجير من الجهل لا يعرف لنفسه منها مخرجاً .

في ذلك الزمن كان السائح المتجول ينتقل من القطر الى القطر ويتجول في الاقاليم بعد الاقليم ، وما ينتقل من وطن إلا لينزل في وطن ، فحيثما سار ، وأينما حط رحاله ، لن يخرج عن الوطن العربي الفسيح ، سواء أصعد أم أسهل ، وأتهم ام أنجد .

وكانت هذه الاقطار كالعقد المنظوم ، انبسطت حباته على محيا البسيطة ينتظمها جميعا سلك ان ذو قوة ومتانة برغم أنف الزمان ، وهما الدين الاسلامي واللسان العربي

وليس من شك في ان للعراق في هذا العقد منزلة خاصة . ولئن لم نقل أنه واسطة ذلك العقد ، لاننا لسنا في مقام المفاضلة . فلا أقل من ان نؤكد ان العراق جوهرة ثمينة براقة في ذلك العقد النظيم الذى لم يشهد الدهر له ضريبا .

***

على أن صورة الدولة الاسلامية ليست الصورة الوحيدة التى يثيرها حديث العراق . هذه صورة يهتم لها العالم الاسلامى ، والناطقون بالضاد . ولكن هنالك صورة أخرى تعنى العالم كله ، لا فرق بين شرقه وغربه ، ومسلمه وغير مسلمه . وهى صورة العراق أيام كان مهد الحضارة الأولى . في أقدم عصور التاريخ . فهنا ، في سهول دجلة والفرات ، نهضت حضارة سومر وأكا قبل ميلاد المسيح باربعين قرناً ، أيام لم يكن في العالم كله ثقافة ولا حضارة ، اللهم الا في الوادى الشقيق الذى نعيش فيه . .

إن هذه الحقيقة وحدها لكافية لأن تثير في قلب كل إنسان شغفا بالعراق الذى كان مهداً لكل هذه الحضارات ، والذى ظل عامراً زاهراً كل هذا الدهر الطويل ، الذى يتضاءل بجانبه عمر هذه الدويلات المحدثة ، التى ملأت عصرنا هذا عجيجا وضوضاء .

***

اذن هنالك أسباب عدة لأن نعنى بدرس جغرافية العراق

دراسة خاصة . وأخلق بنا — نحن مدرسي الجغرافيا — أن نذكر هذا أبدا ، وأن نكون دائما على استعداد — في مقام التمثيل والاستشهاد . لذكر البلاد الشرقية والديار العربية . فاذا كنا نتحدث عن الانهار وجغرافيتها ، فلا ننس أن نذكر انهار الشرق: دجلة والفرات ، وسيحون وجيحون والاردن والعاصي ، ولا نكتفي بذكر الرون والرين ، والطونه والسين .

على أن الكتب العربية الحديثة التي وفت هذه الموضوعات حقها من البحث قليلة جدا ، والمشتغلون بالجغرافيا في البلاد العربية — وعلى الأخص في مصر — قلما يكتبون ابتغاء وجه العلم ، بل يكتب اكثرهم ابتغاء عرض الحياة الدنيا . ولهم في ذلك أعذار مقبولة وأخرى غير مقبولة ، وعلى كل حال لقد اصبحنا في مصر مثلا ولدينا عشرات من الكتب (المقررة) للمدارس الابتدائية وغيرها ، وليس لدينا كتاب واحد حديث يفصل لنا جغرافية مصر تفصيلا علميا متقنا .

لهذا كانت دهشتي عظيمة حين تناولت كتاب (جغرافية العراق) تأليف الفريق طه الهاشمي باشا ، رئيس أركان حرب العراق . فرأيته يتناول جغرافية العراق بالبحث المفصل الواضح ، لم يغادر ناحية من نواحي علم الجغرافية الحديث الا عالجها في قدرة فائقة تشهد بالفخر لمن كانت حرفته الجغرافيا . فكيف والكتاب من انتاج رجل حرفته الأولى تعبئة الجيوش ، ورسم الخطط الحربية ، وتدبير المعارك الحاسمة ؟

ولئن كنا مضطرين الى اكبار هذا الجهد الفائق والى الاعجاب الشديد به ، فانه يحق لنا أن نعجب كيف بدأ التأليف الجغرافي بالعراق ناضجا كاملا على هذا النحو من غير إرهاصات ولا مقدمات . ولا دون نشوء ونمو . اللهم إلا أن تكون هنالك مؤلفات سابقة ليس لنا بها علم .

وكل مطلع على هذا الكتاب عن له أقل خبرة بالتأليف الجغرافي لابد ان يدرك ما عاناه المؤلف في جمع كل هذه الاحصائيات الدقيقة ، وفي اخراج هذه المصورات المتقنة . خصوصا اذا ذكرنا أنه يطرق أبوابا جديدة ، ويعالج أمورا لم يعالجها المؤلفون قبله . ويسير في سبيل لم تمهد ولم تعبد .

* * *

ان العراق هو أشد أقطار العالم شبها بمصر ، ولقد تكون أمطاره في بعض نواحيه أغزر منها في وادي النيل ، غير أن العراق يعتمد قبل كل شيء على ماء أنهاره كما تعتمد مصر على نيلها . وللعراق نهران يكاد ذكر اسميهما أن يكون من الفضول : دجلة (الفتاة) التي تجري في شطره الشرقي ، والفرات (الفتى) الذي ينساب في الجانب الغربي . كلاهما يبدأ مجراه في جبال أرمينية . وكردستان وليس بين منابعهما مسافة كبيرة . فاما دجلة فتنحدر مسرعة أو متسرعة — كسائر الاناث لا تلتفت يمينا ولا يسارا ، بل تجري معجلة الى البحر (خليج العجم) . واما الفرات فيسيل مغربا حتى يدنو من بلاد سورية . وكأنما كان يريد أن يتجه الى البحر الأبيض ثم غير رأيه ، أو كأنما أراد أن يطل على القطر الشقيق ليقرئه السلام ، ثم يلتوي بعد ذلك في هدوء ورزانة ، ويولي وجهه شطر العراق ، ولا يزال يجري هو أيضا حتى يصل الى خليج العجم ، لكن في شيء من التؤدة والتأني ، وفي منتصف الطريق بين المنبع والمصب يشتاق الفرات الى دجلة فيأخذ في الاقتراب منها ، وفي هذا الجزء الأوسط من العراق يقترب النهران حتى لتظن انهما سيجتمعان . فلا يفصلهما غير مسافة أربعين كيلومترا . وفي هذا الموضع قد احتشد كثير من مدن العراق الشهيرة قديما وحديثا . فهنا نجد آثار بابل ومدائن كسرى ، ونشاهد بغداد الزاهرة وكربلاء المقدسة . كلها في هذه المنطقة التي يتدانى فيها النهران ، على ان اجتماعهما لا يتم بعد ، بل يتباعدان مرة اخرى ، ثم يلتقيان بعد لأي عند القرنة ، فيتكون منهما نهر واحد هو شط العرب الذي ينحدر الى خليج فارس .

هذان النهران هما رأس مال العراق وينبوع ثروته فمنهما ماؤه الذي يسقيه ، ومنهما تربته الخصبة التي يعيش أهله من ريعها ولقد تكون سهل العراق الفسيح مما حمله هذان النهران من الرواسب والطين . فاستطاع السهل الخصب أن ينمو ويمتد الى البحر ، حتى أصبح خليج فارس أصغر مما كان عليه حتى في العصور التاريخية . ولا يعرف في العالم كله سهل نهري يزداد نموه بسرعة تعادل سرعة نمو سهل العراق . فهنا يتقدم البر وينكمش أمامه البحر بسرعة معدومة النظير ، ولهذا كانت أرض العراق في عصر السومريين أصغر مما هي اليوم . بحيث كانت المدن السومرية القديمة : أور واردو ولاجاش واقعة على البحر أو قريبة منه .

* * *

وهكذا يعرض المؤلف أمام أعيننا صورا شائقة ممتعة لجغرافية العراق . ويعرضها في ترتيبها المنطقي المتسق . فتراه في الفصول الأولى يشرح موقع البلاد بالنسبة لما جاورها من الاقطار ثم يأخذ في شرح التكوينات الجيولوجية ، وكيف تكونت أرض العراق

فى الازمنة الجيولوجية ، ثم ينتقل الى وصف تضاريس البلاد وما بها من سهول مطمئنة ، وجبال شاهقة تفصل ما بينه وبين بلاد الترك والفرس . ثم يصور لنا مجرى النهرين العظيمين تصويرا دقيقا ، حتى نكاد نراهما ونلمسهما ، ويبين لنا كيف يفيضان ، ومقدار ما يجرى فيهما من الماء ، وفى أى الشهور يفيض ، او يغيض الماء ثم ينتقل بعد ذلك الى دراسة المناخ والنبات والحيوان …

وبهذا يكون المؤلف قد أكمل الصورة الطبيعية للبلاد فى كافة نواحيها ، وهنالك يصبح ذهن القارىء مهيأ لأن ينتقل من البيئة الى السكان ، ومن الجغرافيا الطبيعية الى الجغرافيا البشرية

والناحية البشرية تحتل الشطر الاكبر من الكتاب ، ويحق لها ان تنال كل هذه العناية . فترى المؤلف يمعن فى ذكر القبائل ومواطنها ، وحاضرها وباديها . وكيف تنتقل من موطن الى موطن ، وبعضها قد ينتقل من العراق الى فارس أو تركيا أو سوريا فى بعض الشهور ، ثم يعود الى العراق فى شهور أخرى .

ومن أفضل أبواب الكتاب تلك الفصول التى يشرح فيها المؤلف الجغرافيا الاقتصادية فى العراق ، ويبين للقارىء طرق الزراعة والرى والمعادن والتجارة ، وطرق المواصلات على كافة أنواعها .

ولن يتسع المقام هنا للافاضة فى ذكر فصول الكتاب . وحسب كل مشتغل بعلم الجغرافيا أن يعلم أنه قد بات فى متناوله اليوم كتاب واف عن جغرافية بلاد نحن فى أشد الحاجة الى ان نلم بجغرافيتها إلماما صحيحا دقيقا .

وسيجد القارىء المصرى صعوبة فى فهم بعض المصطلحات العلمية . لأنها فى كثير من المواضع قد تخالف ما اصطلح عليه المشتغلون بالجغرافيا فى مصر . ولكن لن يلبث القارىء طويلا حتى يعتاد لغة الكتاب ومصطلحاته . وانا لنرجو على مدى الزمن أن تزداد المؤلفات الجغرافية العربية ، فنستطيع بمبادلة الرأى أن نوحد المصطلحات العلمية فى اللسان العربى .

ولا بد لنا أن نذكر بشىء كثير من الثناء ما اشتمل عليه الكتاب من خرائط ملونة وغير ملونة . وكثير منها من نوع فريد لا يسهل العثور على مثله . ولنذكر على سبيل المثال الخرائط التى تبين مناطق الزراعة ، وكثافة السكان ، والاجناس والشعوب والقبائل . والكتاب مفعم بالصور التى توضح جميع نواحى البحث فى الكتاب كله .

ونحن نهنىء المؤلف الفاضل بجهوده المثمرة . ولا نشك فى أنه ماض فى عمله الجليل ، حتى يشق فى بحثه الجغرافى سبلا جديدة ، وتزداد مؤلفاته الجغرافية عددا واتقانا على اتقان . . إن رجال الجيش طالما أدوا الى علم الجغرافيا خدمات جليلة ومن ذا الذى لا يسره أن يرى اسم هذا القائد العربى بين اسماء من خدموا الجغرافيا وأحسنوا الى المشتغلين بها ؟

« عوض »

وجه صالح للسينما

(بقية المنشور على صفحة ٣٨)

صرفت دريجالسكى أول نقود نالتها فى اجرة طبيب . ثم صرفت ما كسبته بعد ذلك فى جنازة زوجها ودفنه . وتحسنت الاحوال بعد موت هذا الزوج . فقد كانت تخشى ان تترك ابنها المعتوه فى البيت لئلا يعبث بالكبريت . اما الآن فقد اصبح فى وسعها ان تودعه مصحة للأمراض العقلية ، ولم يبق معها بعد ذلك الا القليل من النقود ومع هذا فقد استشعرت الراحة والاطمئنان لقد كانت مدفونة تحت اطلال حياتها التعسة وأحست اليوم انها تستنشق الهواء ، وهجرت مهنتها الاولى كغسالة . ومع ذلك فقد ساق اليها حظها الجديد رجلا يستأجر غرفة فى بيتها .

وهو انتون بوش الاعزب الذى كان يبيع المثلجات فى الشارع وكانت دريجالسكى ترى فيه رجلا ظريفا ، وحسدها الجيران لنجاحها فى فن السينما ، واعتزت بنفسها اذ ادركت منهم ذلك الحسد . وكان الهر بوش يدفع لها اثنى عشر ماركا فى الشهر ويدفع نصف أجرة الغاز وكان كريما شديد الاخلاص ، لها وقد ابتاع لها فستانا من الحرير الازرق وكانت تطهى له الطعام بنفسها وتقدم له شطائر ليتناول منها طعامه فى جو لاته . وانك لتدرك من ذلك ان غذاءها هى نفسها قد تحسن كثيرا وزالت التجاعيد عن وجهها شيئا فشيئا وقد بلغت الآن قمة النجاح واصبح اسم دريجالسكى اسما يردده المخرجون !

التتمة فى العدد القادم محمود عزى

مجموعة السنة الاولى